موقف الأشعري محمد بن يوسف السنوسي من الكرامات: دراسة تحليلية

La position d'al-Ash'ari Mohamed ibn Yousouf al-Sanusi sur les miracles : approche analytique

أ.د شافية صديق*

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الاسلامية (الجزائر)

c.seddik@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2025/08/21 تاريخ القبول: 2025/12/01 تاريخ النشر: 2025/12/27

ملخص:

تنتمي الكرامات إلى محور التجربة الدينية وهي تجربة دينية مكثفة لها معالمها الخاصة.

ومقاربتها بالتحليل والدراسة تتعثر أمام عجز الأدوات المنهجية المتوفرة في العلوم الانسانية والاجتماعية على تحليلها وبسطها في مخابر البحث، لذلك يفضل البعض الاجتهاد في بعض أجزائها: كلفة الكرامة، وأعراضها ونتائجها على الفرد أو موقف الأديان منها.

والأشعرية موقف إسلامي قام على ضرورة التوفيق بين النقل والعقل.

والشيخ محمد بن يوسف السنوسي توفرت فيه عناصر البعد الصوفي ذاتيا، والبعد العقدي موضوعيا؛ فكيف قدم رؤيته حول موضوع الكرامات؟

الكلمات المفتاحية: الكرامات، الأشعرية، محمد بن يوسف السنوسي.

Abstract:

La Karama appartient au domaine de l'expérience religieuse, elle est une expérience spirituelle très intense, avec des caractéristiques spécifiques. Approche analytique de ce phénomène trouve des obstacles puisque les outils méthodologiques des sciences humaines et sociales sont incapables de les analyser et les transformer en données quantitatives et qualitatives. Beaucoup préfèrent étudier les aspects de l'expérience comme le langage, des aspects extérieurs et ses impacts sur l'individu ou la position des religions sur cette expérience. L'école Acharite est une école religieuse reconçu... les textes et le rationalisme.

* المؤلف المرسل: (أستاذة الفكر الاسلامي والأديان والاستشراق)

Cheikh Mohamed ibn Youcef est un érudit de l'école Acharite et un Soufi (Mystique). Comment il a étudié la Karama subjectivement et objectivement.

Quelle est sa position, son point de vue ?

Keywords: La Karama; l'école Acharite; Mohamed ibn Youcef Assanouci.

خطة البحث:

1. أ.مقدمة ومدخل الاشكالية المركزية .
2. ب.الاشكالية بوجهيها.
3. ت. الخصائص والبصمة .
4. ث. أزمة صورة الشيخ السنوسي في الفكر الاسلامي ؟
5. ج.المغرب الاوسط: الخصائص والتلقي .
6. ح. الشخصية: التجربة والحياة .
7. خ. محاور اجتهادات الشيخ السنوسي.
8. د.الكرامات في الفضاء البشري.
9. ذ.المواقف من الكرامات
10. ر.صوفية السنوسي الأشعري ومفتاح الكرامة: العودة الى معجزة النفس وكرامة التقرب .
11. ز. الكرامات: توصيف وظيفي.
12. س. اختلاف المتكلّمين حول جواز ظهور الكرامات على أيدي الأولياء:
13. ش.نماذج من آراء الأشاعرة باعتبار الشيخ السنوسي يشير إلى بعضهم ولا يخرج عن مجمل آرائهم الجامعة بين الأدلة النّقلية والأدلّة العقلية.
14. ص.عرض بعض أدلّة الرافضين للكرامات:
15. ض.الباقلاني مع الاستشراق والكرامات
16. ط.كرامات حدثت للشيخ السنوسي
17. ظ.تأصيل الشيخ السنوسي لخصائص الكرامات

1.مقدمة ومدخل الاشكالية المركزية: التراث السنوسي في عالم اليوم

دخل العالم منذ الحرب العالمية الثانية في متاهات البحث عن إجابات حقيقية لأسئلة جذرية متعلقة بما يمكن أن تفعله أرواح متأزمة، تصنع أدوات الموت وتوسع ساحات تجربها فيها بأفظع ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من شر ظاهر. وتنافست الأمم لمراكمة أخطر الأسلحة، وحرصت على الدخول في تحالفات ومؤامرات تجعل العالم مرهونا لأمزجة ساسة سخروا العلم والدين لتبرير هوسهم بسيناريوهات محتملة لنسف العالم، إذ الأسلحة الخارقة لا تبق ولا تذر حال استعمالها. (موقف الشيخ السنوسي من الساسة والحكام جدير بدراسة استثمارية مستقلة).

ظهر طريق آخر لا يملك من أدوات فرض اختياراته إلا الحجّة العقليّة والرّوحية المنطلقة من أديان بتصنيفاتها، وبقايا نبوات صحيحة وفطرة سليمة تستنهض دواعي الخير في الإنسان، وضرورة توجيه الطاقات لخدمة الإنسان لا تدميره. وفضل البعض استبعاد الأديان لأنها مصدر اختلافات وخلافات، وكانت الغلبة لتيارات تستخف بالأديان أو تُحيّدها ولا تعوّل إلا على العقل ببراغماتية فاقدة لنبض الحياة الحقيقية: أي أنّها ركّزت كل جهودها في البحث عن البقاء على قيد الحياة(survie) لا الحياة نفسها.

هذا المدخل يفرض التدقيق في ما هو متاح من تراث الشّيخ السنوسي المطبوع والمخطوط، والكثير من الشروح حول رسائله ومؤلفاته والدراسات حولها. وكان الاحباط من عجز الكثير من كل المقروء على ايجاد مسالك سماع نبض روح الشيخ وصدى مجاهداته وصرير قلمه، وهو يعجز عن احتواء حرارة أفكار تعيش في روحه وقلبه مع صحبة الأخيار الأحياء منهم والأموات. لابد لكل من يقترب من تراث الشيخ محمد بن يوسف السنوسي أن يبحث بين السطور وبين الكلمات فالمسكوت عنه المتواري قد يكون أعمق مما هو معروض وهذا ينطبق على كل أدبيات التصوف.

الاشكالية بوجهيها:

معالم الجمع بين الفكر العقلاني الاشعري والجانب الصوفي في تراث الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الاشعري عبر موضوع الكرامات.

ملخص الاشكالية: كيف يمكن لبحوث تحت سقف موضوع محدّد منهجيّا واجرائيا اقتراح حلول مباشرة أو غير مباشرة لأزمة العالم استجابة لنداء القرآن الكريم: سورة الحجرات الآية 13: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ...] من الآية 2 من سورة المائدة: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ].من الآية 90من سورة النحل.

الشيخ السنوسي انسان كان يعيش بين الناس وسط ضغوطات تقع على عاتقهم، زمن تأزم الوضع السياسي والاجتماعي في تلمسان. وكان رجلا روحانيّا سعادته في خلواته ورفقته للصالحين: كيف دخل معترك الجدل العقدي حول الكرامات: هذه الخاصية الصوفية ؟ وكيف دافع عنها عقليّا مادام الخصوم عاجزين عن استيعاب كثافة التجربة الصّوفية وحرارتها الحارقة للأنانية والمطفئة لنيران شهوات الدنيا؟

خصائص الفكر السنوسي ليس هذا فقط ولكنه وصل إلى معادلة جديرة بالتوقف عندها امتزج فيها الجانب الكلامي بالجانب الصوفي عبر التماسه الأخلاقي والصّوفي للأعذار لمن ارتكب تجاوزات من عامة الصوفية تفيض عن عاطفة جياشة وربما منفلتة، ودفاعه كلاميّا وعقليّا على ضرورة تثقيف هؤلاء العوام دينيّا بتعليمهم التفكير العقدي السّليم بعيدا عن أفكار تحسبهم أقل من أن يقدروا على واجب النظر.

وهذه المعادلة تم الوصول إليها بعد قراءة ما هو متاح والمعاناة من الاحباط في العجز عن التثمين الحقيقي لتراث الشيخ السنوسي.

اختار الشيخ السنوسي إذن: طريقا موازيا بإحداثيّات تكاد الموت فيه تصاحب الحياة دون أن ينفي هذا ذاك، ولا يفنى ذاك في هذا. رحمه الله.

الخصائص والبصمة:

التراث السنوسي عبر مبحث الكرامات لم يدخل السجال العقيم بل أعاد تكييفه عقليّا، ولكن بروح قلم صوفي، كما سيتبيّن منتصرا لمحورية محبّة الله، بعيدا عن تحويل الانسان إلى وسيلة آلية للشريعة. اختيار الشيخ السنوسي ليس خاصا بنخبة ولكنه مرتبط بالناس جميعا حسب مجاهداتهم والتزامهم الحقيقي بالمقاصد العليا للشريعة. لذلك كان هناك إصرار على الصّفة الأشعرية للشيخ السنوسي في العنوان.

الانسان الكون الصغير يكبر عقليّا ويمتلأ روحياّ بما يحمله من توافق مع الكون الكبير. تؤرقه الأسئلة العميقة وتؤلمه حروب الوعي لذلك يحتاج إلى تلك اللّمسات الرّبانية التي تكرم مثواه حيّا وتجازيه على مثابرته في الطريق، وتحذره من الغرور، حتى أن هناك من العارفين من يفضل كتمان الكرامات.

الكرامة أكبر من أن تستوعبها الكلمات والحروف ولا لغة خاصة بها من كلمات التّداول البشري، ولا معجم خاص بها، فقط مفاهيم تشبيهية ومصطلحات مستعارة لتقريبها إلى العقول العاجزة عن استيعابها في ماهيّتها الحقيقية، لذلك أيضا اختلف الأولياء هل هناك من ضرورة لتطويع التّجربة الكثيفة الملتهبة في كلمات مصقعة ؟

البعض رفض تحجيمها في كلمات ونصوص والبعض الآخر نزلها إلى فضاء التّداول تحت إلحاحية مبدأ الشهادة والشّهود فكشف ما يمكن إيصاله للنّاس من كرامات ومناقب واستثناءات.

الكرامات هي السّر بين الإنسان وخالقه في ظروف خاصّة هذا هو التّوصيف الإجرائي الحقيقي، لذلك يفضّل البعض الانعزال إلى حيث الانسجام التام مع الطّبيعة والسكون فتكون الكرامات مبسوطة كالعادة أو يختار البقاء وسط الضجيج والناس، منقبضة روحه خشية خيانة الطريق والمسلك. والسعادة بالانفراد مع الخالق ومخلوقاته المسبّحة؛ ألم يستأنس الكثير من هؤلاء بالحيوانات والمفترسة منها خصوصا كالأسد؟ إنّهم يقللون من الوحشة بالاعتكاف ليلا وزيارة القبور والأولياء ومرافقة المساكين ومساعدة المبتلين. وهذه الحياة المنتظمة وفق معايير خاصة هي كرامة الاختيار أن يختار الولي أو الصالح والسّالك طريقا ظاهره الوداعة وباطنه معارك مستمرّة لتثبيت اليقين تأرجحا بين حيوات وموت، لذلك يكاد المريدون يرفضون حقيقة موت وليّهم، وإذا سلموا تمسّكوا بآثاره ومآثره فيأتي أدب المناقب ليذكر محاسن الأولياء وكراماتهم ليحقّق التّوازن في عالم لاهث وراء الماديات بنهم يضيّع حتى فرصة الاستمتاع بسماعها واستحضارها.

قد ترفض العقلانية أدبيات الكرامات ولكنّها لا تستطيع استئصال تجذّرها في الفضاء الانساني كدليل على وجود عالم أرحم من الواقع المعيش، وحيث تدخل عناصر في الحركة والتّصور بعيدا عن العادة المميتة للحياة الرتيبة. كل الأديان السّماوية والوثنية وشبه الأديان Pseudo religions والمعتقدات الهجينة وما صنف تحت مسمى new.age وجدت أمامها حقيقة لا مفر منها: مركزيّة حياة الصالحين والأولياء والقدّيسين في التّربية الرّوحية وفي مقارنة الأديان هناك محور السّير المقدّسة (VITA–hagiographie-hagiologie) تدرّس كتراث ديني وتفكّك عناصرها وفق عدة مناهج علمية تتفق جميعها على أهمية السير المقدسة رغم اختلافها في حقيقة تفاصيلها وأحيانا حقيقة وجودها.

من نماذج مقاربة حساسية التجربة الصوفية المكثفة: الكرامة، ما جاء في أبجد العلوم:

ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحسّ والاطلاع على علم من أمر الله، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف :أن الروح إذا رجع عن الحسّ الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحسّ وقويت أحوال الرّوح وغلب سلطانه وتجدّد نشوه وأعان على ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نمو وتزيد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما، ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس والعلوم اللدنية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى أفق الملائكة[1].

ث. أزمة صورة الشيخ السنوسي في الفكر الاسلامي ؟

بعد قراءة مصادر ومراجع ودراسات لها علاقة بهذا الموضوع تم التوقف عند ملاحظة محورية لأحد أوائل المهتمين بتراث الشيخ السنوسي الباحث الجزائري: جمال الدين بوقلي حسن في أحد اعماله الخاصة بالشيخ السنوسي وهو مقال تحت عنوان: كتاب" المواهب" ومخالفات الملالي لشيخه ابن يوسف السنوسي التلمساني[2] نبه إلى جانب من التوثيق الخاص بالشيخ السنوسي وكيف غُلب جانب من اجتهاداته على جوانب أخرى، مما يدفع الى الاشارة الملحة لضرورة اعتكاف الباحثين على ورشات مفتوحة لإعادة تقديم تراث الشيخ تعريفا ودراسة وتبيئة وتوظيفا في مخابر الفكر والإصلاح الإسلاميين الشّاملين اليوم.

يقول جمال الدين بوقلي: لقد نقل عدد من أهل السير، أخبار أبي عبد الله ابن يوسف السنوسي التلمساني، وساهموا في التعريف به، إلا أن خطابهم أضحى مجرد نسخة واحدة، ما دام المشرب الذي نهلوا منه كلهم وحيدا وفريدا؛ وفي هذه الحالة، تتقلص مساحة نقد المنقول فيها وتترجح اضطرارا مصداقيته باعتباره نسخة فريدة لا تنافسها وثيقة اخرى[3].

ويضع جمال الدين بوقلي ملاحظات منهجية هامة للغاية بعد اطلاعه على تراث الشيخ السنوسي وما كتب عنه فيرى أن هناك:

1.اختزال مناقب شيخه في كلمة "وليّ ".

2.طمس خصوصيات شيخه المعروف بشغفه:

1.2بالتوحيد.

2.2 وسعيه إلى نشر هذه التعاليم بين سائر فئات المجتمع.

3.2 ودعوته إلى تدريس المنطق.

4.2 وطريقته العقلية في تأويل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

5.2 ومنهجيته العقلانية في تناول المسائل الإلهية .

3. مخالفاته لشيخه في مفهوم الذكر، وفي محاربة التقليد.

ولكن جمال الدين بوقلي ينبه أيضا إلى ما قدّمه كتاب الملالي خدمة لتراث الشيخ السنوسي:

1. الملالي ساهم في إنقاذ تراث السنوسي من التلف والنسيان.

2. احتمال موجود حتى وإن كان ضعيفا أن يكون كتاب " المواهب" بكل هاته المؤاخذات، قد ساهم في إنقاذ تراث السنوسي من التلف والتغييب، إنقاذا مقصودا أو غير مقصود .

3. شاءت الصدف أن يقدم شيخه وليا صاحب كرامات، متصوفا زاهدا تبعا لمقاييس العصر الذي كان فيه، روح الاعتقاد في الخرافات والميل إلى الخوارق، منتشرين .

4. تكون قد تهيأت للشيخ الأسباب المواتية لاحتضان أخبار فلو كان الملالي قد عكس الصّورة الكلامية الحقيقية والمنطقية والفلسفية التي كان يحملها فكر الشيخ، لكان المجتمع يضطهدهما معا.

جمال الدين بوقلي له مؤلفات حول الشيخ السنوسي وقدمه كشخصية ثرية، لم يكتشف الباحثون كل أعماق اجتهاداتها وتجاربها.

ملاحظة مهمة جدا تفرضها الموضوعية والأمانة العلمية: يمكن القول أن البحث في التّصوف عبر مباحثه العامّة والدّقيقة كالكرامات، هو محاولة جادّة لقطع الطريق على بعض الاتجاهات العلميّة المستوحاة من التقنية، التي تريد تقديم التجارب الدينية بالتركيز على تأثيرات فيزيولوجية وكيميائية وعصبية، يتم تأويلها بالذكاء الصناعي أو ما يقاربه .

من صور هذا الاشكال ايضا المحاولات المستميتة لدى بعض الباحثين الغربيين للتعامل مع التجارب الدينية من بوابات منهجية وعلمية ماديّة ومتنوّعة منها تكييفها كأحوال عصبيّة يتمّ رسمها ميكانيكيا في المخابر على سبيل المثال:

Les neurones de la spiritualité- Neuro theologie(4) .

ج. المغرب الاوسط: الخصائص والتلقي .

دراسة تاريخ التفكير الديني الإسلامي في المغرب الأوسط يحتاج إلى تدقيق معالم وخرائط إسلام السكان الواقعي، أو ما اصطلح على تسميّته التّديّن الشّعبي بحمولات متنوّعة لأبعاد التّوصيف، ومسارات انتقال المذاهب الإسلامية، ودور المزاج العام كما السياسة في تثبيت مذهب أو طريقة أو ثقافة متفاعلة مع دين يستوعب الاختلافات ما لم تقترب من ركائز الدين مع استحضار تراث التكفير المتبادل في أدبيات الصراعات المذهبية في بعض مراحل التاريخ الإسلامي.

ابن خلدون رأى أن المنطقة كلّها أقرب إلى خصائص المدينة المنوّرة التي لم تندمج في التّغييرات الجذريّة التي قادتها عواصم الخلافتين الأموية والعبّاسية، ففي رأي ابن خلدون هناك اشتراك في البداوة. كما أن مؤرّخي الأفكار الدّينية لاحظوا ما اعتبر نفورا من طغيان التّفلسف على التّراث الكلامي، ونفورا أيضا من ادخال العناصر اليونانية أو العقلانية الفلسفيّة على التّصوف .

كل هذه الملاحظات ومايتبعها من حفر في التضاريس الفكرية: ضرورة أساسية لدراسة تراث الشيخ السنوسي، الذي يوفّر للباحث فرصة غير عادية عندما يجتمع في شخص واحد اهتمامات عميقة

بأسئلة مرتبطة بماهية ودور علم الكلام، وأسئلة أعمق مرتبطة بمباحث علم الكلام، استيعابا ونقدا وإسهاما في الخروج من معادلة: ضرورة النّظر ورفض التّقليد من جهة ومحاذير إلجام العوام عن علم الكلام. شخصيّة الشيخ السنوسي متربّعة على مكان مركزي في التّراث الشّعبي ومتبوّئة مركزا مفتاحياّ في تاريخ علم الكلام المنهجي في المنطقة، بدليل الشّروحات المتواصلة إلى اليوم لخلاصاته الفكريّة والكلاميّة والعقديّة. وهي وثائق بمثابة مرآة لروح العصر بكل تفاصيله وتناقضاته وروح صاحبها بكل تجاربه ومجاهداته واختياراته الفكريةوهو غير مسؤول عن النفخ غير المنهجي لدواعي شوفينية أو التحقير غير الموضوعي بادعاء مشرط الصرامة المنهجية.

عرف المغرب الإسلامي انتشار الزوايا والتّصوّف التي أصبحت جزءا من النّسيج الاجتماعي، قام على بعضها علماء سخّروا علمهم وحياتهم لخدمة الدين والإنسان، وكانت الكرامات عنصرا حاضرا في السّرديات الصّوفية المكتوبة والشفويّة وأعطت لتلك الزوايا نبضا دائما .اختلطت روايات الكرامات ببعض الإضافات التي حوّلت عينّات منها إلى أساطير خارقة بعيدا عن سياج الدين، فتصدّى لها العلماء بالرّصد والنّقد والتّوجيه الدّيني والعلمي والأخلاقي.

الشيخ السنوسي كعارف وملامس لعالم الارتقاء الرّوحي، بالإضافة إلى اهتمامه بالنّوازل العقديّة في مجتمعه، كانت له وقفات عميقة متأصّلة علميا حول الموضوع من خلال حماية هذه التجارب الرّوحية المكثّفة من كل ناف لإمكانياتها، ومن كل المبالغات التي تخرجها من حدود الدين ومحبة الله بما يرضى عنه، ولكن تميّز الشيخ السنوسي كان في التماسه الأعذار العاطفيّة لمن يبالغ بحسن نيّة، وحجّته أن هذا المبالغ يتحمّس في الطريق الإيجابي بأدوات غير ناضجة، عكس المتنطّعين في شكليات التّديّن، فالأوّل دواءه بسيط هو إصلاح الوعي بتعليم الصّوفي كيف يلتزم بفريضة النّظر، بينما الثاني لا دواء له لأنه فاقد لروح التّديّن الحي.

ح. الشخصية: التجربة والحياة

محمد بن يوسف السنوسي ولد عام 895هـ/1489م، والتاريخ مرتبط بالسقوط المدوّي لدويلات الأندلس، إذ سقطت غرناطة وهو ابن ثلاث سنين، وتأثّرت دول المغرب بما يحدث في الأندلس ضعفا واضطرابا، وضغوط هجرة المسلمين واليهود الفارّين من الأندلس. فالشّيخ السنوسي نشأ في ظلّ ارتباكات ديمغرافية وعرقية ودينية واجتماعية، من المؤكد أنها أسهمت في صناعة وعيه إزاء الحياة وتصاريف القدر ودور الإيمان في تحقيق التّوازن وترتيب الأولويات. ساعدت ميول عائلة الشيخ للتّصوف في بناء عمارته الفكرية، فالتّصوف لا يُعتنق بل هو شعور غالب، ينبثق من مزاج الرّوح وصقل التّربية الأولى مع تدخل

البصمات الوراثية. والده يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي وأمّه حسنية من عائلة عريقة. تلقى تعليمه الأوّل في عائلته وعلى يد أحد المقربين من أبيه الشيخ نصر الزواوي، وكعادة التّعليم في زمانه درس التّفسير والقراءات والفقه والعقيدة وغيرها من العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى كالحساب وعلم الفلك عن طريق مشايخ مشهود لهم بالعلم في محيطه[5].

لا يخدم استثمار تجربة حياة وكنوز المجاهدات الرّوحية والفكرية والاجتهادات العلمية لشخصية الشيخ السنوسي إذا أصر البعض على تقديم الشّيخ كمجتهد مطلق في كل العلوم الإسلامية والكونية، فالشيخ لا يحتاج من جهة إلى هذا، ومن جهة أخرى ستوضع الشّخصية في اشتباك مع حقيقة مؤلفاتها وانتاجها الفكري، وفي النّهاية الشّخصية لا تتحمّل وزر المزايدين الذي من المؤكّد أنّ عاطفتهم غلبتهم فيضيّعون فرصا ثمينة لتلقي اشعاعات الشيخ السنوسي، وهو يكابد لتحقيق ما فهمه من فريضة حسن الاستخلاف وحقيقة التّعبّد الخالص لله.

يقدّم صاحب موسوعة التاريخ الثقافي الجزائري أبو القاسم سعد الله الشيخ السنوسي: محمد السنوسي صاحب العقائد المشهورة التي تبارى العلماء في شرحها ودرسها وتقريرها وحفظها، وهي أيضا في علم الكلام الذي عرف به السنوسي وجعله العلم المؤدي إلى معرفة الله، لأنه في نظره مفتاح جميع العلوم، وحياة السنوسي حياة غنيّة، وهي تعتبر ظاهرة هامة من ظواهر القرن التاسع. والسنوسي كأستاذه الثعالبي قد اتجه نحو علوم الآخرة والرّوحانيات والتّصوف وكان لا يرتاح إلى الحكام ولا إلى مجتمع عصره. تتلمذ على مجموعة من الأساتذة الرياضيين، كما تتلمذ في التّصوف على إبراهيم التازي صاحب وخليفة محمد الهواري، الذي أسّس الزاوية بوهران وبثّ مبادئ التّصوف في وقت كانت وهران مهدّدة بالغزو الإسباني. وكانت تصل إليها قوافل من مهاجري الأندلس، والتازي هو الذي ألبس السنوسي الخرقة الصّوفية، ونسبت للسنوسي كرامات كثيرة من الذين ترجموا له فاقت تلك المنسوبة لأستاذه الثعالبي... اشتهر السنوسي بكثرة الشروح وندرة التأليف الشخصي، لكن السنوسي فاق الثعالبي في كثرة الكتب وتنوّع مواضيعها، فالسنوسي كاد لا يترك فرعا من فروع المعرفة إلا ووضع فيه شرحا لمتن أو تعليقا على منظومة أو نحو ذلك... وبلغ حرصه على الشّروح أنه شرح عقائده عدة مرات.[6]

يذكر سعد الله في كتابه أنه توجد في مكتبة برنستون رسالة تنسب الى السنوسي تسمى المجربات موضوعة في باب الطلاسم.[7] وهذا لم يعثر على من تتبع الموضوع الهام.

خ. محاور اجتهادات الشيخ السنوسي:

يمكن التأكيد على ما نبه اليه آنفا أن مصادر سيرة الشيخ السنوسي الأساسية تحصر في: كتابين أقرب إلى التصنيف المناقبي:

1.المواهب القدسية في المناقب السنوسية لتلميذه محمد بن عمر الملالي.

2.اللآلىء السندسية في الفضائل السنوسية لأحمد بابا التبكتي.

لذلك من الفريضة العلمية الاجتهاد لتقديم ملاحظات منهجيّة حول ما هو متاح من كتابات الشيخ السنوسي:

في رصد ما هو متاح ذكرا ومادة حول الشيخ السنوسي، هناك ملاحظة في خلط بين المؤلفات حسب الطبعات والمحقّقين الأصليين أو الوهميّين، مع غياب ملحوظ للتّنظيم المنهجي، إذ يغلب على الكثيرين استنساخ نفس المعلومات حول حياته مع مقدمة مختصرة ومخلّة بالمخطوط المنشور. على رأس الاخلال الرسم الصّحيح لخرائط كتابات الشيخ السنوسي وتصنيفها الموضوعاتي أو تصنيفها في مكتبة علم الكلام والتّصوف، ولا أظن أن الشيخ السنوسي يحتاج ولا حتى يتسامح مع من يزجّ بمؤلف له ذي طابع بيداغوجي في قائمة كتب التأسيس لعلم الكلام من المنظور التاريخي والعلمي والتقني، ولابد من التذكير أن من أأمن المسالك لتحقيق الأمانة الأخلاقية والعلمية احترام أسباب التّأليف التي يذكرها المؤلف في بداية مؤلّفه أو في ثنايا كتابه وأيضا وهو يعرض مقاصد التأليف.

خريطة أولية لمكتبة الشيخ السنوسي: مؤلفات الشيخ السنوسي كما أوردها الملالي

1.المقرب المستوفى في شرح فرائض الحوفي.

2.عقيدة أهل التوحيد المخرجة بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة بفضل الله تعالة أنف كل مبتدع وعنيد: المعروف بالعقيدة الكبرى.

3.شرح العقيدة الكبرى المسمى عمدة اهل التوفيق والتسديد قي شرح عقيدة اهل التوحيد

4.العقيدة الوسطى وهي اختصار للعقيدة الكبرى مع زيادات.

5.شرح العقيدة الوسطى وهو أيضا اختصار لشرح العقيدة الكبرى

6.العقيدة الصغرى الشهيرة بذات البراهين أو أم البراهين .

7.شرح العقيدة الصغرى.

8.عقيدة صغرى الصغرى وضعها لوالد الملالي وكتبها له بخط يده.

9.شرح صغرى الصغرى .

10.عقيدة صغرى صغرى الصغرى.

11.المقدمات الملال لم يذكر هذا المتن باسمه وذكره الوادي آشي قائلا: وضعها مبينة للعقيدة الصغرى . وشرح المتن إلى جانب الشيخ السنوسي أبو إسحاق إبراهيم .

12.شرح المقدمات وهو شرح للمتن المذكور المقدمات، وهذا الشرح عليه حواشي: منها حاشية الشيخ حمزة التارزي وحاشية الشيخ محمد بن علي الغرياني.

13.شرح واسطة السلوك وهو شرح على عقيدة موجزة وضعها صاحبه الفقيه أبو عبد الله محمد الحوضي بطلب منه.

14.المنهج السديد في شرح كفاية المريد وهو شرح كبير وضعه على القصيدة اللامية للشيخ الصالح احمد بن عبد الله الجزائري التي وضعها في التوحيد وسماها كفاية المريد في علم التوحيد .

15.شرح الأسماء الحسنى حسب الملالي هو في نحو عشرين ورقة .

16.شرح التسبيح الذي حض عليه الشرع بعد كل صلاة سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثة وثلاثون مرة في كل واحدة من هذه الثلاث ثم يختم المائة بلا إله الا الله .

17.مكمل إكمال الإكمال وهو مختصر لإكمال الإكمال للشيخ الأبي على صحيح مسلم زاد فيها بعض الزيادات.

18.شرح صحيح البخاري قال الملالي شرح منه جملة كافية ولم يكمله وانتهى إلى باب من استبرأ لدينه.

19.شرح مشكلات البخاري قال الملالي وهو شرح على مشكلات وقعت في آخر البخاري كقوله عليه الصلاة والسلام في شأن جهنم حتى يضع الجبار فيها قدمه وسترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر. ونحو ذلك من المشكلات التي لا تحمل على ظاهرها .

20.اختصار شرح الزركشي على صحيح البخاري .

21.اختصار حواشي التفتازاني على كشاف الزمخشري .

22.شرح مقدمة ابن ياسمين.

23.شرح الجمل وهو شرح على متن الخونجي الشهير في المنطق ولا يدرس الملالي إن كان الشيخ السنوسي قد كمله أم لا.

24.شرح ايساغوجي في المنكق والمتن للشيخ أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي حسب الملالي هو شرح كبير.

25.شرح مختصر ابن عرفة في المنطق وحسب الملالي الشيخ السنوسي اعترف بصعوبته.

26.المختصر في المنطق ووضع له شرحا ايضا.

27.شرح المختصر في المنطق .
28.شرح بغية الطلاب في علوم الاسطرلاب وبغي الطلاب هو قصيدة لشيخه ابي عبد الله محمد بن الحباك .
29.شرح أرجوزة ابن سينا في الطب.
30. اختصار لكتاب في القراءات السبع .
31.شرح الشاطبية الكبرى. ويقول الملالي أنه لم يكمله.
32.شرح المدونة وغير مؤكد أنه كمله.
33.شرح الوغليسية في الفقه ولم يكمله حسب الملالي
34.نظم في الفرائض وغير معلوم حسب الملالي إن كان أتمّه.
35.اختصار كتاب الرّعاية للمحاسبي
36.اختصار الروض الأنف للسهيلي ولم يكمله.
37.اختصار بغية السالك في أشرف المسالك من تأليف الساحلي.
38.شرح أبيات في التصوف تنسب للإمام الالبيري .
39.شرح أبيات في التصوف لبعض العارفين .
40.شرح لبيتين لبعض العارفين في التصوف .
41.شرح المرشدة لابن تومرت .
42.الدر المنظوم في شرح قواعد ابن آجروم وهو شرح على الآجرومية .
43.شرح جواهر العلوم لعضد الدين الايجي في علم الكلام. الملالي لم يره لكن الشيخ السنوسي اخبره به
44.تفسير القرآن الكريم انتهى فيه إلى الآية 5 من سورة البقرة.
45.تفسير سورة ص وما تحتها من السور ولا يعلم الملالي ولا يعلم الملالي إلى ما انتهى اليه من السور.

يقول الملالي: وزد مع ذلك ما كتبه من الأجوبة على المسائل التي ترد عليه في جل الأوقات وبعض الأجوبة يحسن أن يعدها من تآليفه لكبرها واستقلالها بنفسها وما كتب من المواعظ والوصايا والرسائل والحجب التي يطلب فيها وما نسخ بيده من تصانيف العلماء ودواوين القدماء... (8)

زاد على هذه القائمة التنبكتي:

46.تعليق على ابن الحاجب الفرعي .

47.تفسير المعدة بيت الداء .

القائمة واضحة والعناوين يرجح أنها من اختيار الشيخ السنوسي: مداخل والشرح والتعليق والنظم منهجيا أين تصنف في أجنحة الموضوعاتية في المصادر والمكتبات ؟ وكيف تصنّف من باب الدراسة والتّأسيس؟ ولضمان اجابات أقرب إلى الموضوعية لابد من تفكيك محتويات المؤلفات مهما كان حجمها ومقارنتها بتراث العلم الذي اختصت فيه زمن الشيخ السنوسي وحتى قبله، ومكان التّأليف ربطا بين الحاجة العلمية التي قد تدفع المختص إلى توفير مواد منهجية للتّعريف بالعلوم ومباحثها أو التّأليف ضمن متطلبات الأمالي المنهجية والبيداغوجية. في كل الحالات كل تصنيف لمؤلف للشّيخ السّنوسي يجب أن يكون مؤسّسا بحياد وموضوعية وبعيدا عن الأحكام القيمية إيجابيا وسلبيا.

ملاحظة مفتاحية: إذا كان مكان وزمان تأليف رسالة أو كتاب مستجيبا لحاجة علمية، فقيمة المؤلف في تغطية هذا الفراغ وإلا أصبح المؤلّف مجرّد ترفا فكريا .

بعض الدّارسين رأى أن العقيدة الكبرى: وهي أم العقائد السنوسية والتي اختصرها في خمس مدوّنات صغرى، قد نسجها على منوال كان معروفا قبله وموجودا في التداول المدرسي، على سبيل المثال في رسالة: "عقيدة أهل التّوحيد المخرجة من ظلمة التّقليد " للشيخ ابن مرزوق .

الحوصلة هنا: المتخصّصون أمامهم ورشة كبيرة لتفكيك منهجية هذا النوع من التأليف، مع ربطه بحاجات المجتمع: متخصّصين وعامّة، وربطه أيضا بالحاجات المعرفية في مسار التفكّر الدّيني في تلك الأزمنة إذ المؤلف لا يكتب خارج الزّمان والمكان وبعيدا عن السّقف المعرفي.كما سيجد الباحثون أمامهم إلحاحية تفكيك عناصر العناوين ضمن التقليد الأدبي من جهة، وضمن المألوف عند الناس حتى لا تكون هناك غربة اصطلاحية ولا غربة مفاهيمية ولا غربة موضوعاتية.

ملاحظة أخرى ضرورية وهي الاختلاف بين المراجع في ترتيب ما ثبت تأليفه من الشيخ السنوسي. من الأمثلة على ذلك هذه العناوين:

حول مؤلف: رسالة صغرى الصغرى تقدم باعتبارها تيسيرا وضعه الشيخ السنوسي لوالد تلميذه محمد بن عمر الملالي لما استعصت عليه أم البراهين، وله شرح مختصر على صغرى الصغرى التي تسمى بالبنت.

ثم ما هو سر التفريع والتشجير والتوليد هذا؟ وما هي أبعاده وما هو تأثيره العلمي والبيداغوجي والمنهجي؟: هذه الأسئلة الابستيمولوجية أيضا ورشة ملحة حول تراث الشيخ السنوسي وخرائط تفكيره وتراثه.

نفس الملاحظات حول: العقيدة المفيدة للولدان والنّساء المؤمنات وضعفاء الحفظ، وهي العقيدة السّادسة في عمارة العقائد كتابة عند الشيخ السنوسي، وهي أيسر لأنّها خالية من الأدلّة والبراهين المنطقية(9).

من الملاحظات المرشّحة بقوّة لتكون عنوان ورشة استثمارية لمؤلفات الشيخ السنوسي مدى تطابق العناوين مع المحتوى، وكيف تغرق رسالة السنوسي في مؤلفات مضخّمة بشروحات وتأصيلات هي عين ما كان يتفاداه السنوسي لما كتبه ؟؟؟

أمام عنوان مثل المقدّمات وشروح المقدّمات: هل التّجزئة كانت من فعل الشيخ السنوسي أم هي اجتهاد ممن جمع وأتاح تراثه ؟

وعنوان المنهج السّديد في شرح كفاية المريد في علم التوحيد. مطبوع مع كتاب آخر لمؤلف آخر وهل الشيخ السنوسي أراد هذا العنوان لشرحه للامية الجزائري، إذ الفرق واضح بين شرح نظم وشرح نصوص كلامية وفق الهيكل الفلسفي وبين التأسيس لرواق في التفكير مستقل.

تنطبق نفس الملاحظات السّابقة هذه على كتاب: الحقائق في تعريفات مصطلحات علم الكلام. أو حقائق التوحيد،/ وتأويل مشكلات البخاري، /ورسالة في تقييد في بيان وزن الأعمال في الرّد على المعتزلة في الميزان والأعراض. /ومراعاة الصّلاح والأصلح /وإبطال القول بوجوب الأصلح. /ومشكلة تقييد معرفة حدوث العالم والرّد على من أثبت التّأثير للأسباب العادية. وغيرها: هذه من العناوين التي قد تحيل إلى كتب على شاكلة الكتب الكلامية الجدلية بإشكالياتها وفرضياتها ومصطلحاتها ولغتها ونقاشها الدّاخلي بين الفرق الإسلامية وجدلها الخارجي مع الأديان والمعتقدات والفلسفات الأخرى. مع احتمال أن تكون مجرّد نصوص مقتطّعة من رسالة أغرقها النّاشرون في عشرات أضعاف حجمها، وغاب كلام الشيخ السنوسي في إثقال بشواهد من كل حدب وصوب وبشروح شكلية قد لا تكون متطابقة مع مقاصد الشيخ السنوسي خصوصا مع اغراقها في التصنع والتضخيم المرتبط بسوق الكتاب في أحلك جوانبها.

إن من يكتب عن الشيخ السنوسي قد تسبق عاطفته عقله الباحث، فيحيد عن صرامة شروط اتفق عليها العقلاء لتقديم عمل أقرب إلى الموضوعية وسيضطرّ المهتمّون بفكر وتجربة الشّيخ السنوسي إلى الاعتكاف على موسوعة حقيقية وفق الشّروط المنهجية والعلمية المتّفق عليها: ليصبح البحث في مفاصل الفكر السنوسي منضبطا وأمينا. فالمستشرقون مثلا لهم تصنيفهم الذي سمح لهم بدراسة مضامين رسائل السنوسي وتصنيفها من منظور القرب، أو البعد عن التفكير الفلسفي، وفق معايير رغم موضوعيّتها جعلت بعضهم مختلفين: هل هو أقرب إلى التفلسف أو أبعد منه ؟ ولكل رأي أدلّته بعد أن فرغوا من تصنيف وتبويب تراثه في الغالب.

د. الكرامات في الفضاء البشري

المعجزات والكرامات والعجائب من المصطلحات الموجودة في معجميّات كل الأديان مع نظائر وأشباه لها أيضا ومصطلحات قريبة منها، وهذا منطقي باعتبار الدّين يقوم على علاقة عابد ومعبود: الأول إنسان يعيش مع أقرانه ويملك التراكيب القاعدية نفسها في جسده وعقله وروحه، ثم يجتهد كل واحد في تنميتها فالخلاف ظاهر مثلا بين من يهتم بصحّته ورياضته، ومن يهملها رغم أن الجسد واحد من حيث الخصائص، ونفس الشيء ينطبق على العقل والرّوح. الطّرف الثّاني وهو المعبود، فهذا من عالم آخر تفاصيله حسب المعتقدات والدّيانات والمشترك أنّه الطّرف الأقوى الذي يحتاج إليه الطّرف الأوّل دون أن يغيب عن التّحليل أن الطّرف الأوّل هو الذي يحدّد من يكون معبوده سرّا أو جهرا (من اتخذ إلهه). ومثل هذه العلاقة لها جانبها الغالب في عالم غير المرئي: الرّوح من جانب الإنسان هي غير مرئية، والمعبود ينتمي إلى هذا العالم الغيبي والحاضر ثم إرادة الإنسان وما تختاره. فالكرامة هي جسر بين الإنسان ومعبوده ولكنّه جسر من عالم المعتقدات، وإن كانت آثار الكرامة على الإنسان لها شقّها المعنوي والمادي، ولكن يصعب دائما تحديد إحداثيّات الآثار فعليا بالمقاييس المعروفة.

الباحثون من مشارب عديدة حاولوا دراسة الكرامات بتحديد العناصر المشتركة، وهذا بحث ثريّ ومتعدّد الرّوايا التّخصصية، ولكنّه يستحق أن يركّز عليه الانتباه لمركزيته في كل المعتقدات والأديان، وله تداعيّات على حياة الناس المشتركة كباب ترسيم القديسين في التقليد الكاثوليكي (beatification-canonisation) وبناء المزارات لهم وترسيمها كقبلة حج يُكفّر الذّنوب، ولها جوانب اقتصادية كإحياء مناطق متخلفة ببركة المزارات كما يعتقد سكانها.

ذ.المواقف من الكرامات

الكرامة علاقة خاصة بين المؤمن ومعبوده، لذلك التّعريفات مرتبطة بالمعتقدات حتى تلك النّافية لمصدرها الإلهي، وتبقى من الأسرار المنتمية إلى عالم خاص، ولكن انتشار الحديث عنها وعن وقوعها وادعاء البعض حدوثها المنتظم لديهم واستغلال النّاس من هذا الباب جعل تناول موضوعها ملحا، وانقسمت الآراء حولها في اتجاهات ثلاثة رئيسية في الفضاء الإسلامي:

1.اتجاه ينكر وجود الكرامات عند الأولياء وعلى رأس المنكرين المعتزلة ومن تبنى أفكارهم وتعليل رأيهم الرافض أن ظهور الخوارق هو خاص بالأنبياء .

2.اتجاه يبالغ في التّساهل مع ظهور الكرامات والخوارق على يد الأولياء، واشتطوا في الصاق الخوارق بالأولياء إلى ما قد يقترب من مقام الألوهية والنبوة وممّن فعل ذلك بعض غلاة الصّوفية(الطرقية).

3.الاتجاه الثالث: اتجاه يؤمن بوجودها اعتمادا على أدلة نصيّة كما جاء في القرآن الكريم مع السيدة مريم أم المسيح عليه السلام التي كانت تُرزق ثمار الصّيف في الشّتاء وثمار الشّتاء في الصّيف، وكرامة أهل الكهف كما اعتمدوا على أدلة من السّنة حيث أخبر الرّسول ﷺ عن حدوث بعض الكرامات لأناس قبل البعثة كتكلّم الصّبي زمن جريج النّاسك، كما جاءت قصة عمر بن الخطاب وسارية الجبل، وهناك كرامات عبر شخصيات مختلفة وأزمنة مختلفة تؤكّد وقوع الكرامات.

ر.صوفية السنوسي الأشعري ومفتاح الكرامة: العودة الى معجزة النفس وكرامة التقرب

من خلال الاطلاع على ما هو متاح من آثار الشيخ السنوسي مطبوعا ومخطوطا، تبيّن أنّ الشّيخ أبعد ما يكون عن الإطالة في الكتابة، ويبدو أن هذا انعكاس لطبيعة شخص مقتصد في الكلام، مشغول بالتأمّل والبحث عن استثمار الزّمن والصحة المغبون فيهما الكثير من الخلق. ولفهم ما المقصود بهذا العنوان الفرعي هذا نص للشيخ السنوسي يختزل الكثير من الكلمات لشرحه. يقول: " وإذا عرفت أيّها المقلّد النّاظر لنفسه بعين الرّحمة، فأقرب شيء يخرجك عن التقليد بعون الله أن تنظر إلى أقرب الأشياء إليك، وذلك نفسك؛ قال تعالى: (وَفِي أَنْفُسِكُم أَفَلاَ تُبصِرُون) الذاريات الآية21. فتعلم على الضرورة أنّك لم تكن ثم كنت فتعلم أنّ لك موجدا أوجدك لاستحالة أن توجد نفسك وإلّا لأمكن أن توجد ما هو أهون عليك من نفسك وهو ذات غيرك لمساواته لك في الإمكان.اه

يجمع الشيخ السنوسي في انسجام بين معجم التّصوف ومعجم علم الكلام في تبيان الطّريق وبنفس المنهاج يقول في شرح اسم الله النّافع:

النّافع: هو الذي يوصل الرّاحة والأمور الملائمة للقلوب والأرواح والنّفوس والطّباع جمعا وفرادى في الدنيا والآخرة أو فيهما، أمّا نفعه للقلوب فبالتجليّات والمشاهدات، وأمّا نفعه للأرواح فبالعلوم والمعارف والمكاشفات. وأمّا نفعه للنّفوس فبأنواع حصول الأمان والأماني والوصول إلى اللّذّات الوهميّات والعقليّات، وأمّا نفعه للطّباع والأبدان فبأصناف اللّذّات والراحان المحسوسة المشتركة بين جميع الحيوانات مأكولا ومشروبا وملبوسا ومنكوحا ومبصرا ومسموعا ومشموما، وبعضها بواسطة وبعضها بلا واسطة[11].

ويشرح حسب ما جاء في كتاب المواهب: ونحن بالنّسبة لهذا المقام مقام أولياء الله تعالى وخاصّة حضرته على ساحل التّمتّي نغترف من بحر التّوحيد والعرفان الذي خاضوا لجّته وغابوا فيه بقدر الإمكان . في المواهب القدسية:[12].

كان شعار الشيخ السنوسي الذي توضّح أكثر في رسالته: توبيخ النّفس في إحياء علوم الدّين ورسالة نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصّغير: ضرورة تلازم الحقيقة مع الشّريعة وإلا كانت الزندقة. وهذا هو الخطاب العرفاني العاقل، الذي يمكن لمسلم أزمنة التّوتّرات والتيه وانحدار الأخلاق، أن يقدّم الإسلام بعنوانه استجابة لفريضة الشّهادة على الناس والدعوة بالحكمة الواعظة أو الموعظة الحكيمة.

عرض الأفكار يكون أيضا عبر انتقاء مؤلّفات بعينها لشرحها أو اختصارها، وتمرير الرّسائل الخادمة للطّريق والمنهج والمسلك أي الحياة. وفعل ذلك مع نماذج من ثمار أبي حامد الغزالي والحارث المحاسبي وأبي عبد الله الساحلي وأبي إسحاق الالبيري.

ولهذا لا يستغرب الباحث إذا وجد تناصّا أو اقتباسا أو تخاطر أفكار بين من سبقه ومن جاء بعده، والمدقّق يلاحظ استشهاده بمن سبقه من العارفين وعلماء الكلام بسلاسة وانسجام ظاهرين.

نجد صدى مفتاح الفلاح لابن عطاء السكندري من خلال مواضيعه المركزية: مقام الرضا، استشعار الحقيقة الإلهية، صدق العبودية والقيام بحقوق الرّبوبيّة بوصفها مطلب العارف من الله تعالى، فكرة الزهد، الجمع بين البسط والقبض، الشهود والفناء، الذّكر طريق لتحقيق ذوق التّوحيد والطّمأنينة واليقين والحضور والغيبة والشّكر وإسقاط التّدبير.

ويذكر أهميّة مرشدة المهدي بن تومرت وكيف كان يتمّ التّبرّك بقراءتها نقلا عن أبي العباس النقاش مركّزا على استثمار عبارات التّوحيد في المرشدة، وها هي ألفة سلسة بين الكلام والتّصوّف ولكنها تحتاج الى التحرير والتحرر من المبالغة في المدح والمبالغة في القدح.

يركّز الشيخ السنوسي على هذه الألفة كما سبقت الإشارة، ويعضد ذلك بأمثلة معايشة كالاستشهاد ببعض ما يذكره الفقهاء كما فعل الونشريسي، وهو يذكر أن المتصوّفة كانوا يقرأون في حلقات الذّكر بعض ما ألّف في توحيد الله: منها الإرشاد إلى علم الاعتقاد لأبي المعالي الجويني.

على الباحثين الحفر كثيرا وعميقا في هذه التّضاريس الكفيلة بتحقيق التّوازن الفكري والرّوحي لمجتمع تعرّض للكثير من الاختراقات التي حاولت العبث ببصماته وهويّته. بسط الشيخ السنوسي مسالك تحقيق ذلك بداية بحسن استيعاب مفتاح العقائد الإسلامية: شهادة التّوحيد فنبّه إلى أنّ المواظبة عليها تثبّت الرّوح على طريق الالتزام بفضائل الأخلاق، وليس هناك طريقا آخر لتلقّي رضى وكرامات الله إلا هذه.

لم يصعّب الأمور على الباحث عن اليقين، فوافق كلّ من يجعل شروط الولاية والأحوال يسيرة على الجاد، فالله لا يكلّف النّفس إلاّ وسعها فكانت في:

1.العلم بأصول الدّين للتّفريق بين الخلق والخالق وبين النّبي ومدّعي النّبوّة.
2.العلم بأحكام الشّريعة نقلا وفهما.
3.التخلّق بالأخلاق الحميدة، ما يتعلّق بالعقل وما يتعلّق بالشّرع، ما يتعلّق بالشّرع المحرّمات والمأمورات، وما يتعلّق بالعقل ما يثيره العلم بأصول الدّين من ترك الاختيار وإسقاط التّدبير والزّهد لتحقيق مقام الرّضى.
4.أن يلازمه الخوف ولا يطمئن أبدا.

صدى كتب سابقة موجود: شرح ابن دهاق على إرشاد أبي المعالي، والمواهب الإلهية من كتاب محاسن المجالس لأبي العباس بن العريف الصنهاجي: مصادر وشروح .

هذا الرّبط الدّقيق سينافح عنه الشيخ السنوسي في كتابه: نصرة الفقير في الرّد على أبي الحسن الصّغير، وهو ينتفض ضدّ هجوم أبي الحسن الصّغير على التّصوّف وأهله في معركة انقسمت فيها الآراء، وظهر من ردود الشيخ السنوسي غضب المنتصر للمظلوم، ورغم ذلك يُقعد القواعد ويشرح مرتكزات التّصوّف التّوحيدي العرفاني:

1.المعرفة الدّينيّة الصّحيحة المبنيّة على البراهين العقليّة، والاعتراف بنعم الله وشكره، كخطوة أساسية لكشف حجاب المادّة والحسّ.
2.المعرفة الذّوقيّة، ويكون ذلك بالجمع بين العقل والذّوق في انسجام ضروري بين القلب والعقل، وتصديق باللّسان والفعل.

3.الذّكر والمجاهدات بإفراغ الباطن من كلّ ما يمنع الامتلاء بالحقائق كمدارسة أسماء الله الحسنى، والأخذ من كل اسم ما يساعد هذه العملية، فيتأدّب الإنسان مع الله، ويستخرج من أسمائه عناصر القوّة التي تساعده على ترويض نفسه وتسخيرها لطاعة الله، ويكون مع هذا اتّباع ما يساعد عليه، ككثرة قيام اللّيل والخلوات والصّيام واستحضار وجود الله في الخلوات والصّلوات واستحضار قوّته ومراقبته. ويستعمل الشّيخ السنوسي عبارة لأحد العارفين وهي التّطهّر بماء الغيب من الغفلة، حتى يتمكّن الإنسان من تلقّي المعارف الرّبانيّة والدّخول فيما يسمّونه حضرة الله.

الشيخ السنوسي يتحدّث عن الكرامات والخوارق ضمن رؤية واضحة لا التباس فيها، فهو لا يشجّع على معاني الفناء في درسه الصّوفي العلني، لأنّ معاني الفناء درجات ليست ممّا يُبسط بلغة النّاس، ولكنه يُصرّ على ربط الشّريعة بالحقيقة والقيام بالفرائض والسّنن، كشرط أساسي في حياة المتصوّف. المجاهدة بالطّاعات والتّرفّع عن شهوات الدّنيا وإغراءاتها يكون بوصل عمل العقل بشعور القلب، فيكون صمّام الأمان يحمي الإنسان من الانغماس في عبادة الدّنيا أو الاغترار بالعقل.

يقول الشيخ السنوسي: التّقليد لا يكفي في العقائد... الإيمان بالعقائد لا ينجي الإنسان من العذاب يوم القيامة إلا إذا كانت الحجّة العقليّة القاطعة التي هي التي أوصلته إليه، وجعلته يحيا بأنواره ولأنواره[13]

ز. الكرامات: توصيف وظيفي

الكرامات كما تبيّن لا يمكن دراستها إلّا ضمن ما تقدّم من توضيح قواعد التّفكير السنوسي، الجامعة بين الحقيقة والشّريعة بعيدا عن الاستقطاب لطرف أو آخر، ولكن المتمعّن في تراث الشّيخ السنوسي سيتبيّن له أنّ خصائص الإنسان المكرم عنده مستوحاة من الحديث المروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: إن الله قال: " من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيّنه، ولئن استعاذني لأعيذنّه". رواه البخاري.

في الحديث نجد تكريما معنويّا وتكريما حسّيا فوق مستوى البشر. واجرائيا يحاول المهتمّون بالكرامات تقسيمها إلى حسّيّة ومعنوية، ويجعلون نوعا آخر خاص بالصّدّيقين .

من التّقسيمات ما جاء في كتاب الطّبقات الكبرى لتاج الدّين السبكي حيث حدّدها في أربع وعشرين، وهناك من جعل لكلّ عضو من أعضاء الإسلام كرامة خاصّة به. وهناك من جعل كرامات خاصّة بكلّ طبقة من الأولياء: اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنّه ينظر بنور الله.

وليس هناك خلاف في أنّ أعظم كرامة هي الإيمان بالله والالتزام بسنّة نبيّه، أو كما يقول العارفون: كلّ كرامة لا يصحبها الرّضا من الله وعن الله والمحبّة لله ومن الله، فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص هالك مثبور .

يقول تاج الدين السبكي: أنّ أنواع كرامات الأولياء قد تربو على المائة، وفيما أوردته دلالة على ما أهملته، ومقنع وبلاغ لمن زالت عنه غفلته، وما من نوع من هذه الأنواع إلاّ وقد كثرت فيه الأقاصيص والرّوايات، وشاعت فيه الأخبار والحكايات، وماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال، ولا بعد بيان الهدى إلا المحال، وليس للموفّق غير التّسليم وسؤال ربّه أن يلحقه بهؤلاء الصّالحين، فإنّهم على صراط مستقيم، ولو حاولنا حصر ما جرياتهم لضيّقنا الأنفاس وضيّعنا القرطاس.

1. إحياء الموتى .
2. كلام الموتى
3. انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء.
4. انقلاب الأعيان كأن ينقلب الخمر سمّا أو لبنا أو عسلا .
5. انزواء الأرض لهم الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة هي أقرب إليك منك.
6. كلام الجمادات والحيوانات .
7. ابراء العلل بإذن الله.
8. طاعة الحيوانات لهم
9. طي الزمان.
10. نشر الزمان.
11. استجابة الدعاء
12. إمساك اللّسان
13. جذب بعض القلوب في مجلس كان فيه في غاية النفرة.
14. الأخبار ببعض المغيبات والكشف .
15. الصّبر على عدم الأكل والشّرب فترات طويلة من الزمن.

16.مقام التصريف أي أن تكون ظاهرة من ظواهر الكون هذه مسخّرة تحت تصرّفه وخاصّة إنزال المطر.
17.القدرة على تناول الكثير من الطعام .
18.الامتناع عن الأكل الحرام بمختلف مصادره.
19.رؤية المكان البعيد من وراء الحجب خاصة الكعبة .
20.الهيبة التي يتحلى بها بعضهم .
21.كفاية الله إيّاهم شرّ من يريدهم بسوء وحفظه لهم وينقلب ذلك السوء إلى خير للولي.
22.التصور بأطوار مختلفة .
23.اطلاع الله إيّاهم على ذخائر الأرض من تسخير نبع الماء في قلب الصّحراء للأولياء عن طريق أدوات كالعصا.
24.تسهيل التّصنيف لكثير من العلماء في ظرف زمني يسير.
25.عدم تأثير المسمومات وأنواع المتلفات فيهم[14]

يعرض ابن عجيبة الحسيني تفريقه لنوعي الكرامات، الكرامة نوعان: الكرامة الحسّيّة وهي خرق الحسّ العادي، كالمشي على الماء، والطّيران في الهواء، وطيّ الأرض، ونبع الماء، وجلب الطّعام، والاطلاع على المغيبات وغير ذلك من خوارق العادات. والكرامة المعنويّة: هي استقامة العبد مع ربّه في الظّاهر والباطن، وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه، والظّفر بنفسه ومخالفة هواه، وقوّة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله، والمعتبر عند المحقّقين هي هذه الكرامة[15]

ويفصل في بعض الجزئيات الهامة: ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة والكرامة الحسّيّة: خرق الحسّ العادي كالمشي على الماء والطيران في الهواء وعلى الأرض والاطلاع على المغيبات، الكرامة المعنويّة هي استقامة العبد مع ربّه في الظاهر والباطن وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه والظّفر بنفسه ومخالفة هواه، وقوّة يقينه وسكونه.

المعتبر عن المحقّقين هي هذه الكرامة الحسّيّة فلا يطلبونها ولا يلتفتون إليها، إذ قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته بل قد تظهر على يد من لا استقامة له أصلا كالسّحرة والكهّان وقد تظهر على أيدي الرّهبان وليست بكرامة إنّما هي استدراج.

الكرامة الحقيقية هي الاستقامة على الدّين وحصول كمال اليقين.[16]

أما خوارق العادات الحسّيّة فإنّ صحبتها الاستقامة ظاهرا وباطنا، وجب تعظيم صاحبها لأنّها شاهدة له بالكمال ممّا هو فيه وإن لم تصحبها استقامة فلا عبرة بها. والغالب أن أهل الباطن كرامتهم باطنيّة ككشف الحجب ومزيد الإيمان ومعرفة الشّهود والعيان، وكذلك عقوبة من آذاهم جلّها باطنيّة لا يتفطّنون لها كقساوة القلب والانهماك في الذّنوب والغفلة عن الله.[17]

أهل الاستقامة الظّاهريّة كرامتهم ظاهريّة حسّيّة، وأهل الاستقامة الباطنيّة كرامتهم باطنيّة معنويّة وأهل التعبير وهم أهل التّذكير الذين يذكرون عباد الله ويعبّرون عمّا منحهم الله به من العلوم والمواهب والفتوحات والكرامات على قسمين:

1. أهل الحجاب وأهل الفتح.
2. علماء وعارفون

أهل الحجاب: يعبرون من بساط إحسان أنفسهم فيقولون فعلنا كذا ورأينا ذا وفتح علينا في كذا وافعلوا أيّها النّاس كطا فإذا وقعوا في زلّة سكتوا حياء من الله، وإذا فعلوا طاعة فرحوا بها. أهل الفتح من العارفين يعبرون من بساط إحسان الحقّ، غائبين عن شهود الخلق فانون عن أنفسهم باقون بربّهم. إذا عبّروا عمّا منحهم الله من المعارف والأسرار والعلوم والأنوار والكرامات والفتوحات والمواهب، وذكروا فأمروا ونهوا دام تعبيرهم ونفع تذكيرهم، فإذا أساءوا لم تصمتهم إساءتهم لأنّ إساءتهم من أنفسهم، وتعبيرهم من بساط إحسان الله إليهم[18].

الحكماء هم العارفون بالله الذين يتكلّمون بالله ويصمتون بالله، غائبون عن أنفسهم يشهدون ما من الله إلى الله.[19]

ممّا سبق يتبيّن أنّ الاهتمام الأوّل كان فهم العلاقة بين الإنسان والله، تلبيّة لأشواق الرّوح وضرورات الشّريعة، وأنّ الكرامات عطايا من الله لعباده الصّالحين، وفق عهد بينهم وبين الله، يعرفون حدود هذا الكرم والمقابل له وكيفيّة التّصرّف به.

احتار النّاس في توصيف هذه العطايا وتبيان حدودها وأبعادها، واجتهد بعضهم لتقريبها للفهم والتّحليل فجعلوا عناوين أقرب إلى معجم اللّغة العادية، فمثلا جعلوا الأمر أقرب إلى استيعاب إذا كان تحت عنوان: الخوارق وهو مصطلح مفهوم ومتداول وصنفوها:

1. الكرامة، وهي أمور خارقة للعادة، يظهرها الله على يد بعض الأولياء من عباده أو الصالحين؛ تكريما لهم.

2. الإرهاص، وهو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد الأنبياء قبل نبوّتهم، تحضيرا لهم لتقبّل النّاس لنبوّتهم.

3. الإهانة، أو المعجزة المقلوبة أو المعاكسة وهو أمر خارق للعادة، يجريه الله على من يدّعي النبّوة حتى يفضحه.

4. المغوثة أو المعونة أو الإعانة، وهو أمر خارق للعادة، يظهره الله لمصلحة شخص غير صالح من عباده بهدف تبرئته من تهمة باطلة منسوبة إليه.

6.الاستدراج وهي أن يستدرج الله انسانا غير صالح، بأن يجري له شيئا خارقا للعادة، وذلك حتى يزداد ضلاله.

هذا التّصنيف يجعل الكرامات نوعا من الخوارق مع اشتراك كل الخوارق في كونها أمور غير عادية، وهذا التّصنيف عملي جدا ويمسح ويحصي كلّ الخوارق الممكنة في حياة النّاس، ويحدّد وظيفتها ممّن يصنعها وهو الخالق عزوجل.

رفض البعض الإيمان بالكرامات والخوارق لغير الأنبياء بعد نبوّتهم كما فعل المعتزلة، قطعا للطّريق أمام المدّعين، وسوف يردّ المثبّتون للكرامات بأدّلة عقليّة وإن كان التّصنيف السّابق يبيّن أن الصّلاح هو الفيصل في تبيان معالم وحقيقة الكرامات .

أما الأشاعرة فغالبيّتهم يوافقون على وقوع الكرامات لغير الأنبياء، وممّن رفض هذا المبدأ أبو اسحاق الإسفراييني.

وهناك عموما قبول للكرامات للأولياء من غالبية أهل الحديث والسّلفيّة، ولكن هناك تشديد في توصيفها، وهناك اتفاق بين الجميع أن الصّلاح الدّيني والأخلاقي شرط أساسي للكرامات. لذلك المعاجم الصّوفية، ومدوّنات الصّوفية بمختلف أوعيّتها يربطون آليا بين الكرامات والولاية .

الكرامات، عند المسلمين الصوفية تشير إلى مقدرات خارقة للعادة يقوم بها بعض الأولياء بمنحة من الله: المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، وظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدّليل على جوازه أنّه أمر موهوم في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، والفرق بين المعجزات والكرامات أنّ الأنبياء عليهم السّلام مأمورون بإظهار معجزاتهم والولي يجب عليه ستر كراماته واخفاؤها[20].

تتبّع ما أوردته مختلف المعاجم العامة أو المتخصّصة، وهي متاحة بيسر، حول كلمة الكرامة والكرامات لا يفيد إذ الأهمّ كيف يوظّف وأين ومتى ولمن.

عيّنة لتوضيح الفكرة ما جاء في: لوامع الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثريّة لشرح الدرّة المضيّة في عقد الفرقة المرضيّة لشمس الدين السفاريني الحنبلي حيث يقول: الكرامة هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوّة ولا هو مقدّمة يظهر على يد عبد ظاهر الصّلاح، ملتزم لمتابعة نبيّ كلّف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصّالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم[21].

ومن نفس المدرسة هناك فكرة تسمية الكرامات آيات، لذلك تتبنّى الدّراسة فكرة عدم أهميّة سرد التّعريفات الكثيرة مثلا يرى ابن تيمية: إن كان اسم المعجزة يعمّ كل خارق للعادة في اللّغة وعرف الأئمّة المقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويُسمّونها الآيات، لكن كثير من المتأخّرين يفرّق في اللّفظ بينهما فيجعل المعجزة للنّبي والكرامة للوليّ وجامعهما الأمر الخارق للعادة.[22]

الجدل الدّاخلي حول إمكانية الكرامات وأبعادها، اقتضى إدخال الأدلّة النّقليّة والعقلية في الاثبات وفي النفي[23].

ومما جاء في الرّسالة القشيريّة: قال أبو الأستاذ أبو القاسم: ظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدّليل على جوازه أنّه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده، وإذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه، فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدلّ عليه أن تعريف القديم سبحانه ابانا حتى نفرّق بين من كان صادقا في أحواله، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك إلا باختصاص الوليّ بما لا يوجد مع المفترى في دعواه وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها، ولابد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة في أيّام التّكليف ظاهرا على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حال.[24]

من نفس الحقل الدلالي: السّحر –العرافة –الكهانة يرى ابن تيمية: أولياء الله المتّقون هم المقتدون بمحمد ﷺ، فيقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتّقين، وخيار أولياء الله تعالى كراماتهم لحجّة في الدّين أو لحاجة المسلمين كما كانت معجزات نبيهم بمحمد ﷺ.[25]

س. اختلاف المتكلّمين حول جواز ظهور الكرامات على أيدي الأولياء:

اختصارا للجدل الدّاخلي الكلامي يمكن التّلخيص في:

1.أكثر المعتزلة ذهبوا إلى إنكار ذلك

2.غالبية الأشاعرة أجازوا ذلك ثم اختلفوا في ما بينهم:

1.2.أبو اسحاق يرى أنّ الكرامات الظّاهرة على أيدي الأولياء لا تبلغ مبلغ المعجزات الخارقة للعادة تفرقة بينها وبين المعجزات.

2.2 وذهب الباقون إلى جواز ذلك ثم اختلف هؤلاء:

1.2.2 منهم من قال أنّ الكرامات لا تقع مع القصد والاختيار بل لو قصد الوليّ ايقاعها لما وقعت تفرقة بينها وبين المعجزات.

2.2.2 وذهب الأكثرون منهم إلى جواز وقوعها مع الاخيار ثم اختلف هؤلاء في جواز وقوعها مع الدعوى من الولي .

1.2.2.2 فذهب الأكثرون إلى المنع من ذلك تفرقة بينها وبين المعجزات.

2.2.2.2 القاضي أبو بكر: ذلك غير ممتنع في العقل لكن بشرط ألّا يكون ادعاؤه لذلك على طريق التّعظيم والخيلاء، فإن ذلك ليس من شعار الأولياء والصّالحين والفرق مع ذلك بين المعجزات والكرامات هو أنّ المعجزات مع دعوى النبوّة والكرامة مع دعوى الولاية ولا منافاة.

3. وعلى كل تقدير ومذهب: الفرق بين الكرامات والمعجزات واضح، وقد اتفق الكلّ على امتناع تسمية الكرامات معجزات، وعلى تخصيص هذا الاسم بآيات الأنبياء لما فيها من تعجيز الذين معهم التّحدي عن المقابلة بمثلها بخلاف الكرامات إذ لا تحدّي فيها[26].

ش.نماذج من آراء الأشاعرة باعتبار الشيخ السنوسي يشير إلى بعضهم ولا يخرج عن مجمل آرائهم الجامعة بين الأدلة النّقلية والأدلّة العقلية:

1.عند أبي الحسن الأشعري رحمه الله: ينقل عنه: إن المعجزات لا يجوز أن تظهر إلا على الصّادقين، لأنّها لإبانة الصّادق من الكاذب، ومثلها من جنسها قد يجوز أن يظهر على من ليس بنبيّ من الأولياء، ويكون كرامات لهم، ودلالات على صدقهم في أحوالهم ومقاماتهم، غير أنّ الرّسول يدّعي ذلك فيظهر عند دعواه، ويباهي به قومه، ويتحدّى قومه قدر الإمكان بالإتيان بمثله، والوليّ لا يتحدّى بها ولا يظهرها، ولا يدّعي فيها بل يرى رؤيتها، والنّظر إليها والإعجاب بها، والدّعوى فيها خطأ ومعصية".[27]

2.أبو منصور عبد القاهر البغدادي الاشعري: أهم أفكاره تبيّن النّزعة العقليّة المتوازنة والتي تنطبق على أغلبيّة المنتمين للمذهب:

1.2.المعجزة في اللّغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة، والمعجز في الحقيقة فاعل العجز في غيره وهو الله تعالى، كما أنّه المقدّر لأنه فاعل القدرة في غيره.

2.2.وإنما قيل لأعلام الرّسل عليهم السّلام معجزات، لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها، وزيدت الهاء فيها فقيل معجزة للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها، وحقيقة المعجزة عند المتكلّمين: ظهور أمر خلاف العادة في دار التّكليف لإظهار صدق ذي نبوّة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدّى به عن معارضة مثله.

3.2.بين المعجزات والكرامات: متساوية في كونها ناقضة للعادات

4.2.الفرق بينهما من وجهين: تسمية ما يدلّ على صدق الأنبياء معجزة، وتسمية ما يظهر على الأولياء كرامة، والوجه الثّاني صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدّى بها خصومه، وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعى فيها. وان أطلع الله عليها بعض عباده كان ذلك تنبيها لما أطلعه عليها على حسن منزلة صاحب الكرامة عنده أو على صدق دعواه فيما يدّعيه، والفرق الثّالث صاحب المعجزة مأمون التّبديل معصوم عن الكفر، والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه، وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله.

5.2.القدريّة أنكرت كرامات الأولياء لأنّهم لم يجدوا في أهل بدعتهم ذا كرامة، وظنّوا أنّ إجازة ظهور الكرامة للأولياء يقدح في دلالة المعجزة على النبوّة، ليس في جوازها قدح في النّبوّات لأنّ النّاقض للعادة دلالة على الصّدق، فتارة يدلّ على الصّدق في دعوى النبوّة وتارة يدلّ على الصّدق في الحال.

6.2.. فان ألزمونا مثلها في بعض الرعايا أو بعض الفسقة، قلنا إن ظهر عليه شيء منها كانت مغوثة له في محنة يخلّصه الله تعالى بها منها، ولم نسمّها كرامة، وصار الخلاف في التّسمية دون المعنى[28].

3.الفخر الرازي الأشعري: في المسألة السابعة :في الفرق بين الكرامات والاستدراج:

1.3.من أراد شيئا فأعطاه الله مراده لم يدلّ ذلك على كون ذلك العبد وجيها عند الله تعالى سواء كانت العطيّة على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة.

2.3 بل قد يكون ذلك إكراما للعبد، وقد يكون استدراجا له ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة من القرآن:

1.2.3 أحده : الاستدراج قال الله تعالى: (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُون) (الأعراف: 182). ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كلّ ما يريده في الدّنيا ليزداد غيّه وضلاله وجهله وعناده، فيزداد كلّ يوم بُعدا من الله، وتحقيقه أنّه ثبت في العلوم العقليّة أنّ تكرّر الأفعال سبب لحصول الملكة الرّاسخة، فإذا مال قلب العبد إلى الدّنيا ثم أعطاه الله مراده فحينئذ يصل الطالب إلى المطلوب، وذلك يوجب حصول اللّذّة، وحصول اللّذّة يزيد في الميل، وحصول الميل يوجب مزيد السّعي، ولا يزال يتأدى كل واحد منهما إلى الآخر وتتقوّى كل واحدة من هاتين الحالتين درجة فدرجة، ومعلوم أن الاشتغال بهذه اللّذّات

العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف، فلا جرم يزداد بعده عن الله درجة فدرجة إلى أن يتكامل فهذا هو الاستدراج.

2.2.3 وثانيها : المكر قال تعالى: (فَلَا يَأْمَن مَكْرَ الله إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرون) (الأعراف:99). (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ الله والله خَيْرُ المَاكِرِين) (آل عمران: 54).

3.2.3 وثالثها: الكيد. قال تعالى: (يُخَادِعُون الله وَهُوَ خَادِعُهُم) (النساء: 142)

4.2.3 ورابعها: الإملاء. قال تعالى: (ولَا يحسَبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُم خَيْر لأَنْفُسِهِم إِنَّمَا نُمْلِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إِثْمًا). (آل عمران: .178)

5.2.3 وخامسها: الإهلاك قال تعالى: (حَتّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمَ). (الأنعام: 44). فظهر بهذه الآيات أن الإيصال إلى المرادات لا يدلّ على كمال الدّرجات والفوز بالخيرات.

3.3.الفرق بين الكرامات وبين الاستدراجات: صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشدّ وحذره من قهر الله أقوى، فإنّه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج، وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه ويظنّ أنّه إنّما وجد تلك الكرامة لأنّه كان مستحقّا لها، وحينئذ يستحقر غيره ويتكبّر عليه ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه، ولا يخاف سوء العاقبة4. فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دلّ ذلك على أنّها كانت استدراجا لا كرامة . فلهذا المعنى قال المحقّقون : " أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الله إنّما وقع في مقام الكرامات، فلا جرم ترى المحقّقين يخافون من الكرامات كما يخافون من أنواع البلاء[29]

4.سيف الدين الآمدي الأشعري: كل خارق ظهر على يد النبي قبل بعثته فهو من باب الكرامات، والأنبياء قبل البعثة لا يخرجون عن درجة الأولياء، وظهور الكرامات على أيدي الأولياء جائز عندنا.[30]

5.عضد الدين الايجي الأشعري: لخصوصية المؤلف والكتاب يمكن تعرض افكاره لتبيان خصائصها:

1.5.المعتزلة ينكرون كرامات الأولياء، ووافقهم الأستاذ أبو إسحاق منا .

2.5وأكثر أصحابنا يثبتونها.

3.5 وقال به أبو الحسين البصري من المعتزلة.

4.5. جوازها فظاهر على أصولنا .

5.5. وهي أن وجود الممكنات مستند إلى قدرته الشّاملة لجميعها، فلا يمتنع شيء منها على قدرته ولا يجب غرض في أفعاله.

6.5. ولا شك أن الكرامة أمر ممكن إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته .

7.5.أمثلة وقوعها:

1.7.5 قصّة مريم رضي الله عنها حيث حملت بلا ذكر، ووجد الرّزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرّطب من النّخلة اليابسة: وجعل هذه الأمور معجزات لزكريّا أو إرهاصا لعيسى .

2.7.5. إحضار عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين، ولم يكن ذلك معجزة لسليمان عليه السلام إذ لم يظهر على يده مقارنا لدعواه النبوّة.

3.7.5.قصة أصحاب الكهف وهي أن الله سبحانه وتعالى أبقاهم ثلاثمائة سنة وأزيد نياما أحياء بلا آفة ولم يكونوا أنبياء إجماعا .

8.5.شيء من هذه الأمور الخارقة الواقعة في تلك القصص، لم يكن معجزة لفقد شرطه كما أشرنا إليه وهو مقارنة الدعوى والتحدي .

9.5 احتج من لم يجوز الخوارق أصلا بما مر بجوابه ومن جوزها وأنكر الكرامة، احتج بأنها لا تتميز عن المعجزة فلا تكون المعجزة حينئذ دالة على النبوة وينسد باب إثباتها .

10.5.إبطال الحجّة السّابقة: إنّها تتميّز بالتّحدّي مع ادعاء النبوّة في المعجزة وعدمه أي عدم التّحدّي مع ذلك الادعاء في الكرامة.[31]

6.عبد الكريم الشهرستاني في كتابه نهاية الاقدام في علم الكلام:

نموذج الشهرستاني مهم لمكانة في مكتبة الفرق والملل الاسلامية وغير الاسلامية ولاختياره منهج خاص في عرضها وبنى الشهرستاني موضوع الكرامات على المحاور التالية:

1.6. كرامات الأولياء جائز عقلا ووارد سمعا.

2.6. من أعظم كرامات الله على عباده تيسير أسباب الخير وتعسير أسباب الشرّ عليهم.

3.6.حيثما كان التّيسير أشدّ وإلى الخير أقرب كانت الكرامة لوفر

4.6. ما ينقل عن بعضهم من خوارق العادات وصح النقل وجب التّصديق ولا يجوز الانكار عليه. أليس قد ورد في القرآن قصة عرش بلقيس وقصة أم موسى ومريم أم عيسى، ورزق الصّيف في الشّتاء، ورزق الشّتاء في الصّيف وظهور النّخلة.

5.6. وما ينقل عن صالحي هذه الأمّة أكثر من أن يحصى .

6.6. وهي بآحادها أن لم تفدنا علما بوقوعها فهي بمجموعها أفادتنا علما قطعيّا ويقينا صادقا بأن خوارق العادات قد ظهرت على أيدي أصحاب الكرامات .

7.6 كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة نبي إذا كان الولي في معاملاته تابعا لذلك النبي، وكل ما يظهر في حقّه فهو دليل على صدق أستاذه وصاحب شريعته، فلا تكون الكرامة قط قادحة في المعجزات بل هي مؤيّدة لها دالّة عليها، راجعة عنها وعائدة إليها.(32)

يلاحظ السعي وراء التوازن في الحكم والتحليل بين العقل والنقل.

7. عبد الرحمن ابن خلدون الأشعري المؤرّخ: يقدّم رؤية أقرب إلى الموضوعيّة حول الكرامات، وكعالم مدقّق يوضّح أنّ هناك عالما خاصّا بهذه التجربة الدينيّة الذّوقية الخاصة.

يقول ابن خلدون في مقدمته عن المتصوّفة: " ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم، إذ الأوضاع اللّغوية إنّما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلحنا عن التّعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه، فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة، الكلام فيه، وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامّة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النّفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها، وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك، فلمّا كتب العلوم ودوّنت وألّف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم.(33)

وعن الكرامات يقول عارضا موقفه وموقف بعض من رفض الاعتراف بوجودها: " وأما الكلام في كرامات القوم وأخبارهم بالمغيبات، وتصرّفهم في الكائنات، فأمر صحيح غير منكر، وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق... وما احتج به الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني من أئمة الأشعرية على إنكارها لالتباسها، فقد فرّق المحقّقون من أهل السنّة بينهما بالتّحدّي، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به. قالوا إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقليّة، فإن صفة نفسها التّصديق، فلو وقعت مع الكاذب لتبدّلت صفة نفسها وهو محال، هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذا الكرامات وإنكارها نوع مكابرة، وقد وقع للصّحابة أكابر السّلف كثير من ذلك، وهو معلوم مشهور، وأمّا الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات، فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجداني عندهم وفاقد الوجدان بمعزل عن أذواقهم... فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنّهم أهل غيبة عن الحسّ، والواردات تملكهم حتى ينطقوا

عنها بما لا يقصدونه، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمحبون معذور، فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل... منعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده[34].

يلاحظ التفصيل الدقيق لعرض الافكار وهذا مرتبط باسلوب الكتابة عند ابن خلدون.

8.أبو المعالي الجويني يُستحضر في مدونات التراث الاشعري حول مسألة الكرامات وخلاصة آرائه:

1.8.الذي صار إليه أهل الحقّ جواز انخراق العادات في حق الأولياء .

2.8.أطبقت المعتزلة على منع ذلك

3.8.الأستاذ أبو إسحاق يميل إلى قريب من مذاهبهم.

4.8.مجوزو الكرامات تحزبوا أحزابا:

1.4.8 صائر إلى أن شرط الكرامة الخارقة للعادة أن تجري من غير إيصار واختيار من الولي وصاروا إلى أن الكرامة تفارق المعجزة من هذا الوجه لا يوافق الجويني.

2.4.8. صائر إلى تجويز وقوع الكرامة على حكم الاختيار، ولكنهم منعوا وقوعها على قضيّة الدعوى فقالوا لو ادعى الولي الولاية واعتضد إيثار دعوته بما يخرق العادة، فإنّ ذلك ممتنع وهؤلاء يقدرون تمييزا بين الكرامة والمعجزة، والجويني لا يوافق الرأي هذا.

3.4.8. الجويني يعرض رأيه: لا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة. والمرضي عنده تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات.

4.4.8. بعض أصحاب الجويني رأيهم: ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لوليّ، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وتنقلب العصا ثعبانا ويحي الموتى كرامة لولي، إلى غير ذلك من آيات الأنبياء ولا يوافق الجويني هذا الرأي.[35]

ص.عرض بعض أدلّة الرافضين للكرامات:

1.لو جاز انخراق العادة من وجه لجاز ذلك من كل وجه.

2.يقود ما سبق إلى ظهور ما كان معجزة لنبي على يد وليّ ممّا يؤدّي إلى تكذيب النبيّ المتحدي بآيته. ورد الجويني أنّ هذا تمويه الشيء الواحد من خوارق العوائد، يجوز أن يكون معجزة لنبي بعد نبي ثم لا يكون ظهوره ثانيا مكذبا لمن تحدى به أول.

2.احتج الرافضون للكرامات: لو جوزنا اخراق العوائد للأولياء لم نأمن في وقتنا وقوعه، وذلك يؤدي إلى أن يشكّك اللّبيب في جريان دجلة دما عبيطا... وحدوث بشر من غير اعلاق وولادة... يرد الجويني عليهم.

يقول: ما من أمر يخرق العوائد إلا وهو مقدور للرّب تعالى ابتداء، ولا يمتنع وقوع شيء لتقبيح عقل ل... وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة، فإنّ المعجزة لا تدلّ لعينها إنّما تدل لتعلّقها بدعوى النبيّ الرّسالة ونزولها منزلة التّصديق بالقول: والملك الذي يصدق مدّعي الرسالة بما يوافقه وبما يطابق دعواه لا يمتنع أن يصدر منه مثله إكراما لبعض أوليائه.

والفرق بين الكرامة والمعجزة: لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوءة وإثبات الكرامة من خلال شواهد من القرآن: أصحاب الكهف ومريم وأم موسى لم يكونوا أنبياء وما حدث للرّسول قبل البعثة والمعجزة لا تسبق دعوى النبّوة.[36]

ض.الباقلاني مع الاستشراق والكرامات

المستشرق لويس ماسينيون في كتابه عن الحلاج: «la passion d'al hallaj » قال أن أسباب كتابة أبي الطيب الباقلاني لكتابه البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسّحر الرّد على الحلاج ومعتقداته في الكرامة. يعني أن الحلاج قدّم آراء حول الكرامات والعلاقات بين الله وعباده أربكت المعتقدات السائدة .

أول من حقق كتاب أبي بكر الباقلاني هو مستشرق ورجل دين مسيحي هو اليسوعي الأب رتشرد يوسف مكارثي سنة 1958. وسيكون رأي الباقلاني السّني الأشعري ذي المكانة الخاصة في تاريخ التفكير الاشعري في اتجاه متوازن أو على الأقل مختلفا عن التحامل والتكفير.

يقول الباقلاني: " الحمد لله ذي الحجج والآيات والدّلائل والعلامات الذي أبان رسله عليهم السّلام بقاهر المعجزات وحبّا أوليائه والمصطفين من عباده بالكرامات ونعتهم بما خصّهم به من ذلك على اخلاص العمل لوجهه والتوفر على القربات والاستكثار من صدق التّوكل والطّاعات[37].

يؤسس ابو بكر الباقلاني لمنظومته الفكرية حول الكرامات انطلاقا من تحليلات اهمها مبنية على تفريق بين المصطلحات وتوظيفها.

ويضيف: " الفصل بين المعجزات وبين ما ثبته وتصدّق به سلف الأمّة الذين هم الأصل والقدوة من كرامات الصّالحين وما أظهره الله عزوجل على أيدي عباده المختارين... وما الذي يجب أن يصدّق به من ذلك... والرّد على منكر كرامات الأولياء من القدرية ومن بعدهم من مبتدعي الأمّة، وقد كان بعض أصحابنا المغاربة ذكر لنا من إنكار شيخنا أبي محمد عبد الله القيرواني رحمه الله، لذلك ما لم يثبت عندنا ولم يحكه الرّاوي لنا... ولعلّه إن كان قال ذلك فإنّما أنكر منه ما يجب إنكار مثله فإنّنا لا نجيز الكرامات للصّالحين بجميع الأجناس، وبمثل سائر آيات الرّسل عليهم السّلام، أو لعلّه أنكر ذلك لمثل من لا يجوز ظهوره على مثله أو أنكر اغراقا في ذلك وتجاوزا لا يجوز المصير إليه..[38]

ويحلل بعض الاشكاليات المتعلقة بالموضوع: " إن قال قائل كيف يصلح لكم العلم بصدق الرّسل لأجل ظهور ما يظهر عليهم من الآيات، مع قولكم بأنّ في العالم من المشعوذين والمحتالين وأصحاب النارنجات والمخاريق، من يظهر ذلك على يده بلطف حيلته وما يكون خارقا للعادة ويوهم مشاهديه والعالم به أنّه كآيات الرّسل ومعجزاتهم من نحو ما يحكى عن ابن هلا والحلاج وأمثالهما ممّن يدّعي تارة الإلاهيّة وتارة النّبوّة ويستهوي بذلك المغترين من أتباعه، فبماذا تنفصل عندكم المعجزات من هذه الحيل والنارجات ؟[39]

يجيب الباقلاني عن بعض الأسئلة المتداولة في ساحة الجدل الكلامي حول الكرامات: "المعجز الظاهر على أيدي الرّسل عليهم السّلام لا يتمّ وقوعه وحدوثه بحيلة محتال بحال من الأحوال، وإن دقّت حيلته وبعد غوره... معجزات الرّسل لا يقدر عليها إلا الله وحده على نحو إحياء الموتى واختراع الاجسان وخلق الأسماع والأبصار، وإبراء الأكمه والأبرص وإقامة الزّمن وما يجري مجرى ذلك من اختراع القدرة الكثيرة على الأفعال التي لم تجر عادة البشر بخلق القدرة على مثلها.[40]

لويس ماسينيون ينطلق من تحيزه إلى رؤيته الخاصة لتجربة الحلاج وتأثيراتها فيقول: " أثارت نقاشات مذهبيّة وتسبّبت في طرح نظريات جديدة عن مفهوم الكرامات عند المتصوفة. الطبيب الرّازي وابن وحشيّة وطريحة الاشتراك بالإرادة الإلهيّة عبر الاتحاد الصّوفي وهي الطريحة التي دعمها الحلاّج وابن عطاء ضد الطريحة السّنية القديمة عن قوة، خاصّة ممنوحة، أي سلطة تمارس على الجان بالإنابة وكان هناك عند المتكلّمين طريحة المعتزلي أبي علي الجبائي عن لا حقيقية كرامات الأولياء التي اختزلها إلى ألعاب خفّة، وكذلك كطريحة الباقلاني الأشعريّة، وكان لهاتين النّظريّتين التّقليديّتين دافع وهدف محدّد هو كرامات الحلاج.[41]

ويضيف لويس ماسينيون: " اقتبس الباقلاني مسلّمات المدرسة الأشعريّة الأولى من الذرية مبدأ الجوهر الفرد الفلسفي الرواقية التي أخذ بها غالبيّة المعتزلة، والتي عدّها من ضمن أساس العقيدة ليس هناك جواهر روحية فالمادة مكوّنة من مجموع جواهر أفراد في الخلاء ليس هناك من أسباب ثانية لوجود موجودات وأفعال أخرى بفعل الخالق، ليس هناك من مدة بل آنات، وهي تدين قطعا المفهوم الفلسفي عن الصورة الأوّليّة الهيولية لمادة الصورة وحلول الصورة في المادة والجواهر الرّوحية المخلوقة للنّاسوت والحال والوجود والأنفس (سر ويقين وفائدة وحقيقة وبداية وخاطر أبدا وملأ وطوامس الأنوار والنوط والطوت.[42]

أنكر الكرامات البعض: لما كثر المدّعون للكرامات ممّن ليس من أهل الولاية وكثر أهل البدع الدجاجلة كرامة ومكرمة بمعنى الهديّة والعطاء والمكافأة على شيء ما.[43]

ط.كرامات حدثت للشيخ السنوسي: عرف عن الشيخ السنوسي اهتمامه بأخبار الكرامات وسعادته بسماعها.

1.في كتاب المواهب لتلميذه بعض الكرامات المتعلّقة بعائلة الشيخ السنوسي، حيث يتحدّث عن فتح قبر أخت السنوسي أمام والدها وحديثه إليها، وتحول روحها في صورة طير في المقبرة، وهذا الكلام مثير للدّهشة وليس مذكورا بالسند الصّحيح للشّيخ السنوسي.

كرامة يستشهد بها السنوسي تأكيدا لحدوثه لشيخ يذكرها السنوسي.

يذكر القصة السنوسي نقلا عمّن يثق فيه أنّه سمع من بعض الناس في تلمسان غلاء شديد في أمور المعيشة، وتعطّلت الصّلاة بسببه في كثير من المساجد، فدخل الشّاهد أحد المساجد فوجد فيها أحمد بن الحسن وهو آنذاك غير معروف عند الناس، وطلب من الشّاهد أن يغلق باب المسجد عليه حين خروجه لأنه يريد النّوم، ففعل الشّاهد ونسيه تماما في المسجد مغلق عليه لمدة طويلة حتى انفرجت الأزمة، فذهب الشّاهد يتفقّد المسجد والمحبوس فيه فوجد أحمد بن الحسن نائما كما تركه، وعندما استيقظ كان يعتقد أنّه نام ساعة أو نحوها، وفهم الشّاهد أنّ هناك علاقة بين فرج الله وبقاء الشّخص في المسجد لأيام نائما.

من الكرامات التي يذكرها له تلميذه الملالي في كتاب المواهب: " يقول عن شيخه أنه رأى ربّ العزّة جلّ جلاله في النّوم على ما هو عليه جلّ وعلا ليس كمثله شيء، فمن حين رآه فني عن الكائنات كلّها ولم يعبأ بشيء منها ولا مال إليها طبعا ولا تطبّعا.[44]

جاء على لسان الشيخ السنوسي: " وليكن اعتناؤك يا أخي بمن تأخّر من الصّالحين، وخصوصا من أهل بلدك حلولا بالسّكنى والدّفن، أكثر من اعتنائك بمن تقدّم منهم، وذلك لأوجه أحدها أن الغالب فيمن تقدّم إمكان الاستغناء عن التّعريف بأحوالهم بتأليف من مضى، والثّاني أن تشاط النّفوس للخير والاقتداء بذكر محاسن المعاصرين لها، أو من قرب من المعاصرين أكثر من نشاطها بذكر من يعد زمانه لأن منافسة المعاصر للمعاصر في الخير معلومة، وأيضا النّفوس في هذه الأزمنة المتأخّرة قد يمنعها من الاجتهاد في العمل الصّالح ورياضة النّفس عنها أن الولاية قد طوي بساطها، فترى أنّ الاجتهاد لا فائدة فيه فإذا عرفت أنّ بعض المعاصرين أو من قرب من المعاصرين قد فتح له بابها قوي الرجاء حينئذ في الفتح ونشطت واجتهدت.[45]

ويضيف: " يرحم الله المشارقة ماأكثر اعتنائهم بمشايخهم وبالصّالحين منهم... هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصّدق وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله، وألقوا أنفسهم سلبا بين يدي الله، وتركوا الانتصار إلى أنفسهم حياء من الله، فكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم... ولقد ابتلى الله هذه الطّائفة بالخلق خصوصا، وسيما أهل العلم، فقلّ أن نجد منهم من شرح الله صدره للتّصديق بوليّ معيّن، بل يقول نعم الأولياء موجودون ولكن أين هم، فلا يذكر له وليّ إلا أخذ يدفع خصوصيّة الله فيه وأطلق اللّسان بالاحتجاج عاريا من التّصديق، فاحذر من هذا وصفه وفر منه فرارك من الأسد.[46]

وجاء في البستان أيضا: " عند الحديث عن سيدي الحسن بن مخلوف الشّهير بأبركان: وكان إذا دخل عليه السنوسي تبسم له وفاتحه بالكلام، ويقول له جعلك الله من الأئمة المتّقين، وله مكاشافات كثيره وكرامات، منها ما ذكره السنوسي وأخوه قالا كان يتوضأ في صحراء يوما، فإذا بأسد عظيم قد أقبل فبرك على سباطه، فلمّا فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد فقال له تبارك الله أحسن الخالقين ثلاثا، فأطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحي.[47]

ويذكر له السنوسي أيضا... أتدري ممّ هذا التّعب الذي أنا فيه... كنت جالسا بهذا الموضع فدخل عليّ الشّيطان في الصّورة التي هو عليها فقمت إليه، فهرب أمامي فتبعته وأنا أؤذن فمازال يهرب بين يدي... يضيف السنوسي أنّه أصبح من أتباعه، ويضيف كرامة أخرى عندما عاد الشّيخ من المشرق إلى قريته في المسان وجدها خرابا فجلس معتبرا في آثارها، وإذا بكلب أقبل وجلس بالقرب مني وحاله في انكسار الخاطر وتغيّر الظّاهر كحالي، فقلت في نفسي هل تعود هذه القرية عامرة أم لا، فرفع الكلب رأسه وقال لي بلسان فصيح إلى يوم يبعثون إي لا تعود عامرة أبدا. [48].

وجاء في البستان عن كرامات الشيخ السنوسي أيضا: " أمّا علومه الظاهر فله فيها أوفر نصيب... لا يتحدث في علم إلا ظنّ سامعه أنّه لا يحسن غيره لاسيما علم التّوحيد والمعقول، شارك غيره في العلوم الظّاهرة وانفرد بالعلوم الباطنة، بل زاد على الفقهاء معرفة حلّ المشكلات لاسيما في التّوحيد... كان يقول ليس علم من علوم الظّاهر يورّث معرفته تعالى ومراقبته إلا علم التّوحيد، وبه يفتح له في فهم العلوم كلّها وعلى قدر معرفته بالله يزداد خوفه منه تعالى وقربه منه. يقول العالم حقا من يستشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة فهمه وعلمه وحسن تحقيقه... إن كان العلماء الحافظون موجودين لكن المراد العلم النافع المتّصف صاحبه بالخشية.[49]

خرج السنوسي إلى الصحراء مع مريده فرأى على بعد ناسا راكبين على خيول مع ثياب فاخرة، وعلم أنّهم من خواصّ السّلطان فتعوّذ بالله ثم رجع إلى طريق أخرى ولقيهم مرّة أخرى وما تمكّن من الرّجوع، فجعل وجهه للحائط وغطّاه حتى جازوا ولم يروه... في التّفسير في المسجد عندما وصل إلى سورة الإخلاص وعزم على قراءتها يوما وقراءة المعوّذتين، سمع به الوزير وأراد حضوره عنده، وطلبه السّلطان أن يطلع إليه ويقرأ التّفسير بحضوره على عادة المفسّرين، فامتنع فألحّوا عليه فكتب إليه معتذرا بغلبة الحياء له فإيسوا منه... ولا يقبل عطيّة السّلطان ومن لاذ به ويقبل عطيّة غيرهم ويدعو لهم... وكان يكره الكتب للأمراء فإذا طولب بذلك كتب لهم حياء.[50]

وقع له وقائع ممّن يدّعي أنّه أعلم أهل الأرض ينقصه ما بالى به ولمّا ألف بعض عقائده أنكر عليه كثير من علماء وقته، وتكلّموا بما لا يليق، فتغيّر لذلك كثيرا وبقي محزونا أيّاما، ثم رأى في منامه عمر بن الخطاب واقفا على رأسه بيده سيف أو عصا فهزّها على رأسه وهدّده بها وكأنّه قال له ما هذا الخوف من النّاس وأصبح وقد زال حزنه.[51]

كان وجهه يتلوّن ويتغيّر كثيرا مع الانقباض فأجاب بعد تمنّع بشرط أن لا يخبر به أحدا... أطلعني الله تعالى على جهنّم وما فيها نعوذ بالله منها... ويقول طفت بهذه العوالم من العرش إلى الفرش ولم أر منها ما يسرّني.[52]

قضية فقراء الصوفية:

رسالة ألّفها أبو الحسن الصغير المكناسي (ت.1319م) جمع فيها فتاوى بعض علماء الغرب الإسلامي وبعض المشارقة، وفيها استنكار ورفض لبعض ممارسات المتصوّفة ولم يخف امتعاضه ورفضه ومهاجمته لتلك الممارسات.

وجاء الرّد من بعض العلماء دفاعا عن التّصوّف ومنهم: قاسم بن سعد العقباني (ت.1434هـ) واعترض على أفكار العقباني العالم أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد منتصرا لأفكار أبي الحسن الصغير، كما ردّ على دفاعات العقباني برسالة عنوانها: "النّصح الخالص في الرّد على مدّعي رتبة الكامل للنّاقص" وحدث استقطاب بين العلماء في الغرب الإسلامي الشّاملة للمغرب والأندلس، وكان كل فريق يقدّم أدلّته من الكتاب والسّنة ووصل هذا الجدل إلى عصر الشّيخ السنوسي، فألّف رسالة بدوره دفاعا عن التّصوف والمتصوّفة تحت عنوان: " نصرة الفقير في الرّد على أبي الحسن الصّغير " مؤيّدا آراء العقباني والتيّار الرّافض للهجوم على المتصوّفة. وفي نفس تيّار العقباني كان شيخا الشيخ السنوسي: عبد الرحمن الثعالبي والحسن أبركان.

وتشير بعض المراجع إلى واقعة اتفاق الشيخ السنوسي مع بعض رجال التّصوف على حرق نسخ المهاجم والاحتفاظ بواحدة فقط للرّد عليها، وكان المؤلف أبو الحسن قد بعث بنسخ من رسالته إلى المناطق المعنيّة.(53)

وفي أجواء الاستقطاب بين الخصوم ظهر تيّار وسط، تزعّمه أحمد زروق البرنسي من علماء التّصوف، دافع عن التّصوّف الصّحيح وألّف: عدّة المريد الصّادق. ورصد بعض التجاوزات التي يقوم بها عامّة المتصوّفة كتفضيل الذّكر على قراءة القرآن وغيرها.

لكن الاستقطاب بين التّيارين النّقيضين مع التّهديد باستعمال العنف بعد التّكفير المتبادل.(54)

ظ.تأصيل الشيخ السنوسي لخصائص الكرامات.

بنى الشيخ السنوسي منظومة الكرامات في عمارة فكره على شروط دقيقة فهو يضع شروط الولاية في شرح العقيدة الوسطى:

1.أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرّق بين الخلق والخالق وبين النبيّ والمدّعي.

2.أن يكون عالما بأحكام الشّريعة نقلا وفهما ليكتفي بنظره عن التّقليد في الأحكام الشّرعية، كما اكتفى عن ذلك في أصول التّوحيد.

3.أن يتخلّق بالخلق المحمود الذي يدلّ عليه الشّرع والعقل، فأمّا ما يدلّ عليه الشّرع فالورع عن المحرّمات وامتثال جميع المأمورات، وأمّا ما يدلّ عليه العقل فهو ما يثمره العلم بأصول الدين.

4.أن يلازمه الخوف أبدا ولا يجد لطمأنينة النّفس سبيلا، وينظر إلى أسباب الشّقاوة وأماراتها فيجدها منحصرة في المخالفات، فهو يخاف الوقوع فيها ويجتنبها وهذا المعبّر عنه بالورع.

التحذير من إيذاء أولياء الله:

1.ولا يكتفي بالترّغيب المجرّد في حمل نفوس أهل الخير على التأسّي بمن ذكر، بل نراه يتوعّد مرهّبا ومحذّرا من تجاوز طوره وسعى في هلاك نفسه بالتّعرّض لمن خصّهم الله تعالى بالرّضا وأهل نفوسهم إلى الخير ولو كان على جهة الجهل منه بمقامهم من الولاية ومكانه من الصلاح، وقد وقع كثير من النّاس في بعض من يتعلّق بالأولياء، وهو جاهل بهم فهلك والعياذ بالله هلاكا عظيما في دنياه وأخراه.[55]

2.يقول الشيخ السنوسي: الأولياء مدد لا ينقطعون، في كلّ قطر قادة وفي كلّ مكان سادة، نسأل الله بفضله التّصديق بهم، وأن لا يحرمنا من بركاتهم في كل وقت وحين، وقد ينادي بلسان الخفا بستر خصوصيّتهم لتقارب الزّمان وضعفه.[56]

تحليلا لخلفية الرافضين للكرامات: ولعلّه إنّما أنكرها من أنكرها منهم لما كثر المدعون لها في أزمنتهم ممّن ليس من أهل الولاية، وكثر أهل البدع والدّجاجلة والفتّانون للجهلة بالحيل والتمويع=هات، أو ما هو من قبيل الابتلاء والاستدراجات، فأرادوا سدّ بدعتهم وفتنتهم للعوامّ بحصر الكرامة في اتباع الكتاب والسّنة، والسّلف الصالح لا غير ذلك ولا خفاء أنّه من الحسن أن تحدث للنّاس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور... الولي الكبير المقدار عند الله قد لا تظهر له كرامة في حال حياته وإنّما تظهر بعد موته.[57]

لويس ماسينيون يعترف بما لابي بكر الباقلاني من تاثير في التفكر الاشعري وتنظيمه فيعلق من رؤيته الخاصة وينطلق من تحيزه لتجربة الحلاج وتأثيراتها فيقول:

حد بعضهم الكرامة فقال: هي عبارة عن ظهور خارق للعادة على يد عبد ظاهر الصّلاح ليس بنبيّ في الحال ولا في المآل، فخرج بقوله على يد عبد ظاهر الصّلاح السّحر والاستدراج وهو خلق الخارق على يد الأشقياء كالدّجال وفرعون والجهلة الضّالين المضلّين، وبقوله ليس بنبيّ خرجت المعجزة، وبقوله لا في الحال ولا في المآل خرج الإرهاص وهو عبارة عن العلامات الدالّة على بعثة نبيّ قبل بعثه كالنّور الذي كان يظهر في جبين عبد المطلب، وقوله كدعوى الولاية يعني على القول بجواز ادعائها وفيه خلاف.[58]

بيان في أن للعامّة نصيبا من الأدلّة يطيقونه ويكلّفون معرفته: قول بعض من لا بصيرة له ولا تحقيق: أنّه لا تعلّم العقائد للعوام ولا تذكر لهم براهينها، من غير فرق منه بين واضحها الذي يمكنهم فهمه، وبين غيره، فواضح الفساد لأنه إذا كانت المعرفة واجبة على الأعيان بإجماع على ما ذكره كثير من الأئمة، بل هي نفس الإيمان أو لازمة له وهي لا تحصل إلا بالبرهان، فكيف لا يتأكّد السعي في تعليمهم ما يحصلها. وإذا جازت قراءة القرآن والأحاديث النبويّة بحضرتهم من غير شرح لهم لمعانيهما مع أنّ فيهما ظواهر يجب تأويلها بإجماع، وبسبب فهمها على ظاهرها هلك كثير من الخلق، فلأن يجوز تعليمهم

العقائد مشروحة بأدلّتها التي تسعها عقولهم أحرى، بل يتعيّن في حقّهم ذلك لأن التّكليف بمعرفة عقائد الإيمان بالنّظر الصّحيح لا فرق فيه عند المحقّقين بين العاميّ وغيره، وإذا كان يتعيّن تعليمهم ما يخصّهم في الفروع كالصّلاة والزّكاة ونحوهما، فكيف لا يتعيّن تعليمهم ما يخصّهم في أصول دينهم، وما يكونون به مؤمنين حقّا، وزعمه أنّه لا يحتاج إلى ذلك في حقّهم لحصول المعرفة لجميعهم مكابرة وكذب يفضحه مشاهدة التّخليط منه، ومنهم في كثير من العقائد ولم يحصل لهم الحقّ فيها ولو بالتّقليد فكيف بالنّظر.(59)

نعم إذا كانت في قلوبهم عقائد فاسدة فلا شكّ أنّ بذكر الحقّ وإيضاح برهانه يتحرّك ذلك الباطل وينزعج للخروج: بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق: الأنبياء: 18

وبالجملة: فتقرير عقائد التّوحيد ببراهينها الواضحة على العوام لا يزيدهم إلا خيرا لأن الضّال منهم يرجع عن ضلاله والمهتدي يزداد هدى وقوّة في إيمانه، ورسوخا في إيقانه فالسّعي في قطع ذلك شيطنة لا شكّ فيها.(60)

في حقيقة الولي والكرامة وخوارق العادات:

حقيقة الولي: هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرّض عن الانهماك في اللّذات والشّهوات .

وكرامته ظهور أمر خارق للعادة من قبله غير مقرون بدعوى النبوّة، وبهذا تمتاز عن المعجزة وبمارنة الاعتقاد الصّحيح والعمل الصّالح والتزام متابعة النبي ﷺ يمتاز عن الاستدراج وعن مؤكدات تكذيب الكاذبين... وقد تظهر الخوارق من قبل عوام المسلمين ليخلّصهم الله تعالى بها من محن الدّنيا ومكارهها وإن لم يتّصفوا بالولاية وتسمى هذه الخوارق الظاهرة على أيديهم معونة وقال الفتازاني: ولهذا أن الخوارق أنواع أربعة: معجزة وكرامة ومعونة وإهانة... قلت وكان يجب أن يجعلوها سبعة فيضمون إلى هذه الأربعة ثلاثة أخرى هي: الارهاص وهو ما يظهر من الخوارق قبل دعوى النبوّة تأسيسا لها، والاستدراج كالخوارق التي تظهر ممّن لم يستقم دينه والابتلاء كالخوارق التي تظهر على يد الدّجال.

وذهبت جمهور المسلمين إلى جواز كرامات الأولياء وأنّ الخوارق يجوز ظهورها على أيديهم جملة من غير تفصيل وإنما تمتاز عن المعجزة بخلوّها عن دعوى النبوّة ومنعها، أكثر المعتزلة والأستاذ أبو إسحاق يميل إلى قريب من مذهبهم .(61)

أدلة حدوث الكرامات: اعتمادا على التفتازاني:

بالنص: ما ورد في القرآن عن مريم وأصحاب الكهف وغيرها والثاني: ما تواتر معناه وان كانت التفاصيل آحادا من كرامات الصحابة رضي الله عنهم

ونحن لا ندعي إلا جواز ظهور الخوارق من بعض الصالحين غير مقرونة بدعوى النبوة ولا مسوقة لقصد تصديق نبي

وبالجملة فكرامات الاولياء باعتبار ظهورها تكاد تلحق بمعجزات الانبياء وانكارها ليس بعجيب من اهل البدع والأهواء .

مشاركة الاولياء للأنبياء في ظهور الخوارق يخل تزيد في جلالة أقدارهم والرّغبة في اتباعهم حيث نالت امهم وإتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم، وقد أسلم بمشاهدة اولياء الله تعالى ومشاهدة كراماتهم خلق كثير من الكفرة[62]

شروط الولي: اعتمادا على شرح ابن دهاق للارشاد للجويني: أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرّق بين الخلق والخالق والنبيّ والمدّعي

2. أن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما.

3. أن يتخلّق بالخلق المحمود الذي يدلّ عليه الشرع والعقل

4.أن يلازمه الخوف أبدا سرمدا

وهذه احوالهم وتفاوتهم على حسب الحضور مع الله تعالى في ابواب القربات وافعال الخيرات والله يرزق من يشاء بغير حساب .يقول السنوسي ونحن بالنسبة الى هذا المقام مقام اولياء الله تعالى وخاصة حضرته على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد والعرفان الذي خاضوا لجحه وغتبوا فيه بقدر الامكان ونعترف لهم بأن ما هم فيه من درجة العيان أو ما يقرب منها فوق ما الكثير عليه من درجة الرهان[63]

الشيخ السنوسي والرد على الشبهات حول الكرامات:

ردا على شبهات الصقت بالكرامات ومن ورائها مسالك الصوفية وضع الشيخ السنوسي حدود التفريق بين الحق والباطل:

1. إذا كان الاعتقاد في الكرامات يؤدي إلى تجاسر المخرقين المتشبهين بالأولياء وهم ليسوا منهم، بل يسعون إلى جلب العوام وخداعهم بفعلتهم طمعا في الشّهوات والرياسات، فالرّد من الشيخ السنوسي حسب ما أورده الملالي في المواهب القدسية: أن معرفة المشتبه الكذاب والتمييز بين الولي الحقيقي والمدّعي

هو معرفة السنة وشروط الولاية وأحوالها ومخالطة الأولياء وتتبّع قرائن الأحوال، وبهذا التّعايش والاحتكاك حسب الشيخ السنوسي يظهر حال الصّادق وحال الكاذب.

2. يركز الشيخ السنوسي على ضرورة التّحري قبل تصديق أو تكذيب أخبار الكرامات الخاصة بالأولياء، فالأمر متعلّق بالمغيبات، ويضع قاعدة مفتاحية في هذه المسألة: ندور من يتّصف بأصل الولاية فضلا عن الاطلاع على هذه الكرامة.(64)

3. دافع الشيخ عن الكرامات والأولياء والتّصوّف والتمس الأعذار لبعض عامّة الصّوفية في بعض سلوكاتهم الغريبة، التي استنفرت الفقهاء، والشيخ السنوسي في عموم ما كتب عن التّصوف يلتمس الأعذار لأولئك، ويفضل مسلكهم في التّوافق مع الحقائق المطلقة على من يختار التّدقيق في ظواهر الأفعال، لا منطلقاتها، ويمكن البحث عن ردود الشيخ السنوسي على هجوم أبي الحسن المكناسي. وفي رد الشيخ الكثير من الغضب المنتصر للصّوفية بل المنتصر للإنسان الباحث عن المعنى لحياته بعيدا عن الشّكليات والأفعال الظّاهرة التي قد يختلط فيها الرّياء مع النّفاق، مع فراغ الروح من نبض محبة الله تعالى .

4. مما جاء في ردود الشّيخ على المكناسي في: رسالة نصرة الفقير: الأوراق التي اعترض فيها على أهل الطريقة وسمّاهم مبتدعة ولم يقيّد قوله بشيء... وعدّد الشّيخ السنوسي بعض محدثات أهل الظاهر: الاشتغال بعلم النحو . وحفظ غريب الكتب في اللغة. وتأويل أصول الفقه. والكلام في التّجريح والتّعديل وتمييز الصّحيح من السّقيم. والكلام في الصّفة والموصوف. والتّغلغل في ذلك، والخانات والمدارس فيها والمحاريب في المساجد وزخرفتها. والحمد لله في أوائل الرّسائل. والاستدلال في المسائل. وتزويق المصاحف. والتّوسّع في اللّذائذ من الأكل والشّرب والمساكن ولبس الأبدان والطّيالس وتوسيع الأكمام وتزويق العمائم وتكويرها.(65)

5. وذكر الشيخ السنوسي أيضا بعض محدثات أمور أهل الباطن كما يدينها المكناسي: الفاتحة أدبار الصلوات. وذكر الله في الجماعة والتّداول به والإعلان به. وإفراد كلّ ذلك بوقت من الأوقات. والكلام في دقائق التّصوّف. والمصافحة في كل وقت. والسبحات. والإعلان بذلك. ويركّز بعد هذا العرض أن كلّ هذه المحدثات مستندة إلى الأحاديث والآثار.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الطيب محمد صديق خان القنوجي: أبجد العلوم ، دار ابن حزم ، 1423هـ/2002م
2. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت–لبنان، 1998.
3. أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي: العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد: المتن والشرح كلاهما، تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006 .
4. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة ناشرون،بيروت–لبنان،1999
5. أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي: الأسماء الحسنى: تحقيق نزار حمادي، مؤسّسة المعارف، بيروت– لبنان، 2008.
6. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج2، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، بيروت، 1413هـ.
7. أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني :ايقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، 2019.
8. معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت–لبنان، ط2، 1407هـ/1987م.
9. ابن مريم المغراوي التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
10. عبد الله احمد بن عجيبة معراج، التشوق الى حقائق التصوف، مركز التراث الثقافي المغربي، الرباط–المغرب ، 1224هـ.
11. شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية: المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارّها، تح. أحمد العيسوي، مكتبة الصّحابة للتّراث، طنطا، مصر 1411هـ–1990م.
12. المنهج السديد في شرح كفاية المريد، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، شرح المنظومة الجزائرية المسماة بالجزائرية لأحمد بن عبد الله الزوواي الجزائري، تحقيق مصطفى مرزوقي، دار الهدى، عين مليلة–الجزائر، د.ت. النشر.
13. محمد بن ابراهيم بن عمر الملالي التلمساني: المواهب القدسية في المناقب السنوسية ، تحقيق نزار حمادي: تقديم سعيد عبد اللطيف فودة، مكتبة المعارف، الاسكندرية–مصر .
14. أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، دار البصيرة، الاسكندرية.
15. ابو القاسم القشيري: الرسالة القشيريّة، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة–مصر، 1409هـ /1989م.
16. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري. مؤسسة الرسالة، بيروت. 1419هـ/1998م).
17. أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك: مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، تحقيق وضبط أحمد عبد الرحيم السائح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة–مصر، ط.2، 1427هـ/2006م.
18. أبو عبد الله محمد بت أحمد الملقب بابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به الشيخ محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908م
19. أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي،: تحقيق يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.
20. سيف الدين الآمدي: أبكار الأفكار، ج4، تحقيق أحمد محمد المهدي، دار الكتب والآثار القوميّة، القاهرة–مصر، 1424هـ/2004م.
21. عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف، ج3، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط1، 1997م.
22. عبد الكريم الشهرستاني: تحرير وتصحيح الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهر– مصر، 1430هـ/2009.

23.أبو المعالي عيد الملك الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد، تحقيق توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، 1430هـ/2009م.

24.أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، 1989م.

.1 **laurence o.MCKINNEY: neurothéologie :virtual religion in the 21s century, 1994.**

Reynold Alleyne NICHOLSON :the mystics of ISLAM,G.BELL and sons ,LONDON,1914

الإحالات

1.أبو الطيب محمد صديق خان القنوجي:أبجد العلوم ،دار ابن حزم ،1423هـ/2002م .ص326

2.المنشور بمجلة أفكار وآفاق الصادرة عن جامعة الجزائر :المجلد 2العدد 3سنة 2012.

asjp.cerist.dz/en/article/828352

3.نفسه.

4.هناك كتاب ظهر في 1994لـlaurence o.MCKINNEY.

neurothéologie :virtual religion in the 21st century

5..مخطوط المواهب القدسية في المناقب السنوسية لمحمد بن عمر الملالي متوفر على أكثر من موقع: أحد الروابط:

https ://dn790001.ca.archive.org/0/items/Al-mawahib.Al-qudsiya/makhtout.pdf

6.أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1998.ص95 وص96،

7. هامش ص96

8.لوحة المخطوط رقم:لو رقم21

9. مراجعة نفس التقليد أو ما يشبهه في الدولة الموحدية.

10.أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي:العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد: المتن والشرح كلاهما، تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006 .ص71.)

11..أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي:الأسماء الحسنى: تحقيق نزار حمادي، مؤسّسة المعارف، بيروت، لبنان، 2008. ص63 وص64.

12.ورقة38.

13.شرح العقيدة الكبرى، ص29 وص32.

14.تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج2، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، بيروت، 1413هـ.من ص338 إلى ص344.

15. أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني :ايقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم مراجعة: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، الاسكندرية،مصر،2019. ص336.

16.نفسه .ص 396.

17.نفسه .ص398.

18.نفسه.ص399.

20.معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت-لبنان .ط2، 1407هـ/1987م .ص223.

21.ج2،مؤسسة الخافقين ،دمشق ،سوريا،ط2،1982 . ص392

22.شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية: المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارّها، تح. أحمد العيسوي، مكتبة الصّحابة للتّراث، طنطا، مصر 1411هـ-1990م. ص9.

23..أنظر مثلا: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، دار البصيرة، الاسكندرية-مصر، من ص14 إلى ص19، وعبد الرزاق الكاشاني: معجم مصطلحات الصّوفيّة، تحقيق، عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، 1992، ص79.

24.ابو القاسم القشيري: الرسالة القشيريّة، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1409هـ /1989م. ص562.

25.مجموع الفتاوي،ج11، وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة: مجمع الملك فهد، المدينة المنوّرة، 1425هـ-2004م.

26.الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري. مؤسسة الرسالة، بيروت. 1419هـ/1998م)

27.أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك: مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، تحقيق وضبط أحمد عبد الرحيم السائح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،مصر ،ط.2، 1427هـ/2006م. ص: 183.

28..أصول الدين، طباعة مدرسة إلهيات، ط1، استنبول،1346هـ/1928م، من ص170 إلى ص175.

29. أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب: التفسير الكبير،ج21، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1420هـ، ط3، ص438.

30.سيف الدين الآمدي: أبكار الأفكار، ج4، تحقيق أحمد محمد المهدي، دار الكتب والآثار القوميّة، القاهرة، 1424هـ/2004م. ص21 وص22.

31.عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف، ج3، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1997م. ص465.

32.عبد الكريم الشهرستاني: تحرير وتصحيح الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر 1430هـ/2009.

33.عبد الرحمن ابن خلدون:المقدمة، ج2، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، 1425هـ/2004م. ص226.

34.نفسه ص242 وص243.

35.أبو المعالي عبد الملك الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد، تحقيق توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر ،1430هـ/2009م. ص252.

36.نفسه ص253 وص254.

37.أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني :كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات ،عني بتصحيحيه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ،المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، 1958.ص3.

38.نفسه.ص5

39.نقسه ص56

40.نفسه ص57

41.لويس ماسينيون :آلام الحلاج شهيد التّصوف الإسلامي، ترجمة الحسين حلاج، شركة قدمس، بيروت، لبنان،2004. ص270.

42.نفسه .ص639.

و:أبو عبد الله محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه ومراجعته محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908. ص238.

و:أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي:المنهج السديد في شرح كفاية المريد ،تحقيق مصطفى مرزوقي، دار الهدى، عين مليلة ،الجزائر، 1994.ص380.

43.أبو عبد الله بن يوسف السنوسي: رأيه كما هو معروضة بشرحه ، تحقيق يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت.لبنان.

44..لوحة، 66.

45. أبو عبد الله محمد الملقب بابن مريم التلمساني: البستان، مرجع سابق. ص6.

46.نفسه.ص7.

47.نفسه.ص74 وص75.

48. .نفسه. ص75 وص76.
49.نفسه.ص238.
50.نفسه.ص.241.
51.نفسه.ص.242.
52.تفسه.ص243.
53. له كرامات لا تحصى؟ نفسه .ص245.
54.أنظر :عبد الحميد حاجيات: أبو حمّو موسى الزياني: حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 1982، ص8.و.أنظر:: مصطفى باحو: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتّصوف والقبوريّة والمواسم، منشورات السّبيل، الجديدة ، المغرب، 2007، ص91.
55.البستان:ص8.
56.نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير :الرابط
https://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.php?file=m010223.pdf
57.المواهب ،لوحة 75.
58. أبو عبد الله بن يوسف السنوسي: شرح العقيدة الوسطى، حقّقه، أنس محمد عدنان الشرقاوي، دار التقوى، دمشق–سوريا، 1441هـ/2019م).ص258.
59.نفسه، ص177و178.
60.نفسه .ص179 وص180.
61.نفسه .ص514 وص515.
62.من ص514 الى ص517.
63.ص519 وص520
64.المواهب، لوحات، من 50 إلى 61.
65.نصرة الفقير، لوحة .49.